بين ثنايا الحُلم

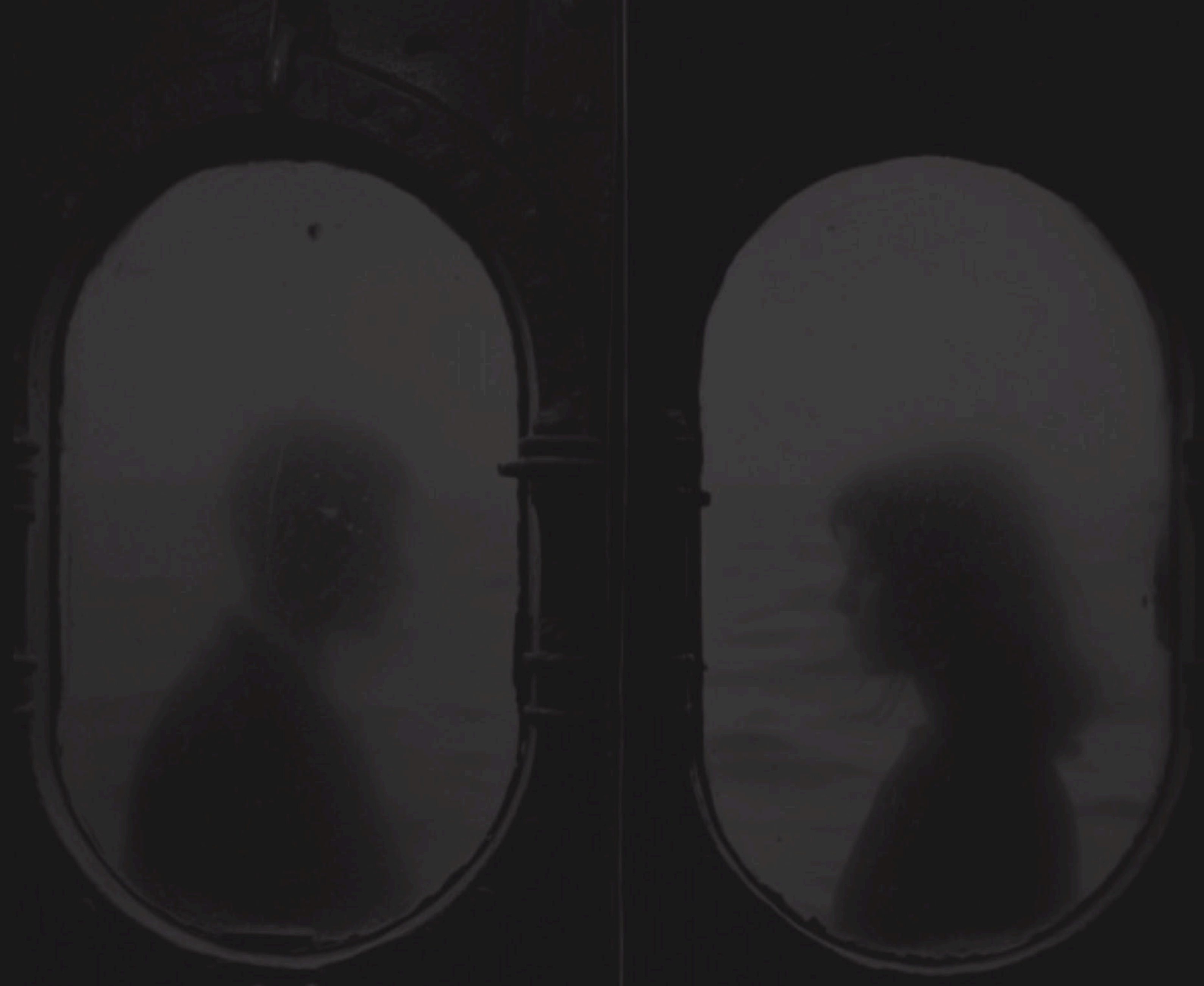

لِماذا لَم نَرحل عِندما كانَتِ الفَراشاتُ في كامِلِ رَونَقِها؟

أستير ثابت

بين ثنايا الحُلم

أستير ثابت

اسم الكتاب: بين ثنايا الحُلم

اسم الكاتبة: أستير ثابت

تصميم الغلاف: فاطمة محمد مصري

تنسيق داخلي: فاطمة محمد مصري

الناشر: دار ياقوت للنشر والتوزيع

التواصل: 01555191983

ملاحظة: ممنوع أخذ أي اقتباس أو اسكرين او اي شيء من الكتاب ومن يفعل ذلك يعرض للمسألة القانونية

إهداء إلى ذلكَ الذي اختارَ اسمَ الكتابِ بعنايةٍ، إلى ذلكَ الذي يقرأُ لي وكأنَّهُ جمهوري الوحيدُ، إلى ذلكَ الذي أطمسُ اسمَهُ بينَ حروفي، ولا أقوى على ذكرِهِ يومًا.

رغمَ أنَّ الكتابةَ وحروفَ اللغةِ لا تستهويه
إلا أنَّهُ يقفُ في أولِ السطورِ ليقرأَ لي
ويُصفقُ لي بشدَّةٍ عندما أكتبُ شيئًا جميلًا
ويضحكُ لأنَّهُ يعلمُ أنَّهُ المقصودُ بحديثي.

ورغم ذلك، أخبرتني صديقتي أن أُحِب شخصًا لا يكتفي بالتصفيق لي لروعة ما كتبت،لا يُحبهم فقط بل يحفظهم عن ظهر قلب،لا يحتضن أحرُفي بل أنا، أن يُشعرني أن كُل حرفٍ كان بإيقاع مُختلفٍ على قلبه الصغير،أن يقف في أول الصفوف لينتظر ما أكتُبه، أخبرتني إنني أستحق أن يُحبُني كاتب؛ لكي يُشاركني تفضيلاتي، أن نتقاسم القهوة والكُتب سويًا، ولكن الكاتب كاتب بي وبدوني، لن يُفضلني على أحرُفه إنما هو مُستعد أن يُصبح كاتبًا لأجلي، مُستعد أن يُصادق أحرُفي و يسير بجوارهم فقط لكي يفهمُني، على الرغم من إنه لا يهوى القراءة ولكنه كان أول من ينتظر كتاباتي، ذلك يكفيني ياعزيزتي.

عزيزي يا صاحبَ حرفِ الميم
تلكَ الفترةُ التي أحببتُكَ فيها كانت ذخيرتي للأمام
تملأُ فراغَ الروحِ وتُبعِدُ رتابةَ الأيام.

أبلِغ عزيزًا في ثنايا القلب منزلَهُ، إن ظنَّ أنني توقفتُ عن حبِّهِ، أو لغيرهِ أملتُ بنظري؛ إنني لا أرتوي إلا به، إني وإن كنتُ لا ألقاهُ، ألقاهُ، وإنَّ فؤادي لا يلينُ إلى أحدٍ سواهُ، وإن قالوا: بلا، سيلينُ

ليتَهُ يعلمُ أني لستُ أذكرهُ، وكيفَ أذكرهُ إذ لستُ أنساهُ؟

يا عزيزي، مَن غيرُكَ قد لمسَ روحي؟ مَن غيرُكَ قد رستْ مراكبي في مرساهُ؟ أُعدُّ الليالي ليلةً بعدَ ليلةٍ، أرجو اللقاءَ، دمى قلبي، ومُزِّقت أضلُعي من كثرةِ الأشواقِ، لعلّني أراكَ في منامي؛ فأنفضُ اليقظةَ عني

إني أذكُرُكَ في صلاتي؛ فأقيمُ بعدَ الصلاةِ قيامًا

يا عزيزي، قالوا: ويَخلُقُ أربعينَ مُشابهًا، مِن أربعينكَ لا أريدُ سواكَ.

لا سبيلُ لديكَ للتخلُّصِ من حُبِّي، كما أنهُ لا سبيل لي، حتى
إن حاولتُ أجدُ نفسي أُحبُّكَ بكاملِ إرادتي من جديدٍ
كُلُّ ما أعلمهُ أن الحبَّ هبةٌ ربانيَّةٌ، يُعطيها اللهُ لعبادهِ إذا
أحبَّهم، وإذا وضعَ اللهُ في قلبي حبَّ رجُلٍ مثلكَ، فالإخلاصُ
لهُ فرضٌ، يجبُ أن تُغلقَ أبوابُ الهوى عليهِ، وأن يكونَ
الأولُ والأخيرُ، أن يكونَ مطلعُ القصيدةِ ومسكُ الختام، من
أجلهِ نكتُبُ، ومن أجلهِ ينزفُ الحِبرُ حُبًّا وحرفًا، من أجلهِ
تُتمتمُ الدعواتُ، ولمن غيرهُ تُهدى الفرص؟

خِفتُ أن يَروك في دواخلي، خِفتُ أن تَظهر في نظراتي، حركاتي، أو حتى نبضات قلبي
أُحاول أن أنظر لأي شيءٍ حولي إلا العيون؛ كي لا يُستدَل عليك،ليس وكأنك شيءٌ أَخشى أن أُفصح عنه، بل أنا في حيرةٍ، كيف أَصفك؟ وماذا أُخبرهم؟ وكيف أُبرر اندفاعي نحوك وكأنك كُل شيء؟ بعدما أقسمتُ أنني لن أسير للحبِّ خطوةً واحدة،لا أنتَ ولا أنا نَدري كيف نَصف هذه الحالة من الشجن، واللوعة في كثيرٍ من الأوقات.

عزيزي، لا أعلم لماذا يزداد جسدي غرابةً، ثمة شيءٌ يحدث في الداخل لا أفهمه، أُحسُّ بنفسي أزداد ثقلاً، لا أعرف كيف أشرح لك، ولكني أشعر أن جسدي مسكونٌ بقوى تفوقني، شيءٌ بداخلي يريد أن يلعب معي، هو لا يظهر بشكلٍ واضحٍ، ولكني أسمع صوته، يُخبرني أن نقفز من هنا؛ لنلعب بالأسفل، لا أكذب عليك، رفضتُ هذه المرة أيضًا ولكنه لا يتوقف عن الطلب، حتى الأدوية لم تَعُد تمنعه من الحديث معي، أُخبرك بسرٍ، كان يَهمس لي اليوم بأن أبتعد عنك، وأنك ستأخذني منه، وأنك لا تحبني وستتركني أنت أيضًا مثلما فعلوا، ويخبرني بالمِثل عن أصدقائي، هو أيضًا لا يُحبهم، أعتقد أنه لا يحب البشرية بأكملها، ولكنه يحبني جدًا، حتى أكثر منك يا عزيزي

أفتقد شوارع الإسكندرية، تلك الطُّرُق المُمطِرةَ، والسَّماءَ المُرصَّعةَ بالغيوم، لا أُخفيك سرًا، أفتقدتُكَ أكثر، أتذكَّر كيف كنتُ أهرول في الطُّرُقات؛ كي ألقاك، كان قلبي يجرفني نحوك مهما حاولتْ قدمي أن تُبطِئ، ووصلتُ إليكَ، وكانت أغاني أمير عيد تملأ المكان، نظرتَ إليّ ورددنا سويًّا: "والسكة تهون ويكون ما يكون، لو 100 فيضان أنا هعرف عادي أجيلك عوم" وكأنَّ أمير عيد كان يعلم نشرةَ الأخبار وقتها، كان شعوري بالسعادة كبيرًا وأنت أمامي، يبدو لي أن بعض الأشياء _ أخيرًا _ تسير على ما يُرام، وكأن الحياة أصبحت مُنصِفة، ولكن شعوري بالسعادة لا يأتي مُنفردًا أبدًا؛ بالطبع خشيتُ أن تكون هذه المرة الأخيرة التي سأراك فيها، لا أعلم لماذا، ولكنَّ ذلك الصوت اللعين في رأسي يعلم أنني شخص لا يكتمل معه شيء بشكل جيد إذا وصل إلى ذروته، حتى إنني أخشى أن تقسو علينا الأقدار، وخزتني نظراتك بأن أتوقف عن الشرود وأنظر إليك

حقيقةً، عيناك كانتا أجملَ مما توقعت، كيف ضيَّعت بعض الدقائق في الشرود في شيء آخر غيرهما؟

أعتذر يا عزيزي، ولكنك أكبر من أن أستوعبك

لا أدري كيف مرَّ الوقت سريعًا ورحلنا، ولكن رائحتك ما زالت عالقة في روحي، أثرك ما زال بي، خِفتُ أن يروك فيَّ، ولكن إن أخفيتك من ملامحي، ومن نظراتي، كيف

أخفيك من رأسي، ومن قلبي؟ أنت مُقيمٌ بي، تلك الحقيقة الوحيدة التي أعلمها عن ظهر قلب
في الحقيقة، شردتُ مرةً أُخرى ولم أستمع بتركيز إلى ما تقوله أمي
يا أمي، أنا عالقة هُناك، مِن المحتمل أنها ملَّت من الحديث معي وأنا شاردة؛ فتركتني، وذهبتُ لأكتب لكَ العديد من الرسائل، حاولتُ أن أنقُش ما حدث على ورقي لأجل إن خانتني ذاكرتي ونسيتُ، فالورق لا يخون
إنني أحبك، دائمًا وإلى الأبد.

كُنتُ على وشكِ أن أنقُضَ وعودي، وأُرسلَ لكَ حروفي وأُخبركَ أني اشتقتُ لكَ، ولكني تذكرتُ كيف كان وداعُنا جافًا لا يَمُتُّ لِما عشناه بصلةٍ، تذكرتُ كيف كانت كلماتُك سهمًا اخترق قلبي، لا أُخفيكَ سرًا، لم أتعافَ منكَ بعد، ولا أعلم هل أُحبُّ أن أشقى أم إنني ما زِلتُ أُحِبُّكَ، وأنا أميلُ للفكرةِ الأولى أكثر، لأن قلبي إن كان يكِنُّ لكَ شيئًا من المشاعر فهي الحَنَقُ لا أكثر، وكم يعزُّ عليَّ قولُ ذلك يا عزيزي، أقصد يا مَن كُنتَ عزيزي

أرجو أن تأخُذَ مِني الليالي حنيني إليكَ، لا تُزيده أكثر

أرجو أن يهدأ قلبي، وتَتَوقف يدي عن كتابة الكثيرُ من الرسائلِ التي لم ولن أُرسلَها، الآن باتتْ حروفي أغلى من أن تُهدى لكَ، لا أُخفيكَ سرًا، منذ أن أرسلتُ لكَ آخرَ رسالة، أُناجيكَ فيها ألّا ترحل، ألّا تهدمَ أيامَنا معًا،من وقتها وكلُّ حروفي تركض وتَشرُد كلما حاولتُ الكتابةَ عنكَ، تُفَضِّلُ أن تَعلقَ في ذهني على أن أُرسلَها لكَ فتَدُسَّها، مثلها مثل قلبي لا يَهُمُّ، هذا المرسال لا أذكر كم، أُخبرُ نفسي فيه أنني تخطيتُكَ وأنك في خبرِ كان، أتمنى حقًا أن أكونَ صادقةً ولا يغتالَني الحنينُ إليك من حيثُ لا أدري، فأنا لا أقوى على حنين الثانية عشرة ليلًا.

والتقينا في سبتمبر، تلك المرةَ الأولى لرؤيةِ عينيك، والمرةَ الأولى لسماعِ صوتك عن قُرب، والمرةَ الأولى لاستنشاقِ عبيرك، والمرةَ الأولى لانتفاضةِ قلبي في حَرَمِ قلبك، أعتقدُ أنَّ حواسي كانت نشطةً وقتها أكثر من أي وقتٍ مضى، تلك اللحظاتُ الأولى التي تلاقت فيها عينانا، تبادلنا الكلماتِ الأولى بصوتٍ خافتٍ يكاد يُسمَع، اكتفيتُ بالنظرِ إليك، لم يسعني سوى أن أتأمَّلكَ، وأرجو الوقت أن يتوقف، فأنا الآن أملكُ الكونَ وما فيه، كنتُ أخشى أن يَشرُدَ الحبُّ من عينيَّ ويُفصح عمَّا أُخفيه، أتساءلُ كيف كنتُ أنظرُ إليكَ وقتها؟ هل فضحتني عيناي وأخبرتكَ عمَّا عجز لساني عن قوله؟ كنتُ أحاول منعَ "أُحِبُّكَ" من الخروج؛ فتحدثتُ بدلاً من ذلك عن ملابسكَ، وشعركَ، وتلك اللحية الخفيفةِ التي أخبرتني أنَّها الآن في أسوأ حالاتها، وتحدثنا عن أسماءِ الحيوانات التي سنحضِرُها فيما بعد، وعن أسماءِ الأكلاتِ والمطاعمِ، حتى أنك حدثتني عن خدماتِ الفُندقِ الذي يقعُ أمامنا، لا أعلم لماذا كنتُ مستمتعةً وقتها ولم أملّ، لهفتُكَ محاولاً إخفاءَ خجلكَ جعلتكَ جميلاً حقًّا، كنتُ أنظرُ إليكَ كثيرًا؛ خوفًا من أنسى كيف تبدو، لذلك أردتُ أن أنقُشَ ملامحكَ في ذاكرتي لا أكتفي بالنظرِ إليك، ولكن على الرغم من ذلك لم أنسَ، وكأنك طُبِعتَ على قلبي، أتذكرُ كيف كنتَ تنظرُ بعينيك حولك كي

تتحاشى النظر إليَّ، أتذكرُ تلعثُمكَ في الحديثِ عندما كنتُ أحاولُ اختراقَ عينيك، أتذكرُ كيف كنتَ تسيرُ، وكم كنتَ تفُوقُنِي طولاً، وبالطبع أتذكرُ عندما لوحتُ لكَ، تمنيتُ وقتها أن تبقى، تملكتني رغبةٌ غريبةٌ في البكاء، وكأنَّ بَعضًا مِني يهمُّ بالرحيل، ووقتها لم أفهم لماذا شعرتُ بذلك، ولكن أعتقد أنني فهمتُ الآن

ورحلنا يا عزيزي، ولكنك ما زلتَ موجودًا هنا، أراكَ في كلِّ الشوارع، في المارين والراحلين، أراكَ في الحبِّ، أو أرى الحبَّ فيكَ، لا فرق، أراكَ في سبتمبر أيضًا، كلما جاءَ أشعرُ برائحتكَ هنا، وكأنَّكَ بعيدٌ عن العينِ قريبٌ من القلبِ، حتى إن كان بيننا خمسُ محافظاتٍ، وعشرون مدينةً، وألفُ ميل.

أريدُكَ معي، ولي، وعِندي
أبيعُ لغتي كلَّها وأشتريك، ملعونٌ كلُّ نصٍّ يصيرُ لكَ قبرًا
ملعونٌ كلُّ سطرٍ يُذكِّرني بفقدانك.

وبدون سابق إنذارٍ تُداعبني الخيبات، وكأن رائحة فقدانك ستُلازمني لفترةٍ طويلة، تأتيني الأفكار في أغرب الأوقات، مثلاً وأنا أقرأ، تفرُّ من السطور وتُحلِّق حولي، وينتهي بي المطاف وأنا أُبعد الكتب عني، ولكني لم أستطع إبعاد أبي عني عندما ظللتُ أُحدِّق به، أحاول ألا تفرَّ الدموع من عينيَّ، ذكَّرني ذلك العطر الذي يضعه برائحتك، ووقتها لعنتُ ذلك العناق الذي جمعنا وحفر رائحتك في روحي، لم أكن أعلم أنني سأغوص في الذكريات وحدي بدلاً من اقتسامها معكَ، ذلك الالتياع مؤلمٌ جدًا، تعلم ذلك؟ لا أجد مفرًّا من وحش الذكريات الكاسر الذي يقف أمامي ويُحاربني، ولكني أستسلم كالعادة أمام الأحداث التي كنت أريد عيشها معك، كل الأمنيات التي أردت تحقيقها وأنا ممسكٌ بيدكَ، كل المشاعر التي أخبرتُكَ بها، وكتبتُ عنها، جميعهم انقلبوا ضدي، تسألني حروفي عنك، أين أنتَ؟ والجميع يُعاتبني بقسوةٍ ليلًا ونهارًا على فُقدانِك، وقلبي يَشكو خلله، ونقصه، وعلَّتهُ بغيابِك.

أنا لا أخشى الحُب، أنا فقط أخشى أن نندم على أننا وقعنا فيه، أخشى أن ألومه وهو بريءٌ مني، ومن عثراتي

الحب جميل، أعترف بذلك، هو ما يجعلنا نكتب، ونقرأ، ونسمع تلك الأغاني التي كنا نمقُتها من قبل، هو ما يصنع تلك اللذة لأغاني عبد الحليم مع القهوة في وقت الغروب، هو ما يجعلنا نستيقظ لنسعى، ربما لنحظى بعناقٍ، بقبلةٍ، أو بلقاءٍ جميلٌ هو الحُب، يُعيد إحياء الأشياء التي فقدت معناها، ولكن ذلك لا يمنع أنه قادر أيضًا على إماتة الأشياء التي تمتلك معاني، إذا وقعنا في الحب، لن نعود كما كنا أبدًا، لن يصبح قلبي كما كان من قبل، ستحل الأتربة مكانك، وسيُصبح هشًا غير قادر على الإمساك بأحد

ورُبما يكون الحب أيضًا في ذلك الشجن غير المفهوم، واللوعة غير المُبررة، وتلك الدعوات المُعلقة في حضن السماء التي تَحملُ اسمكَ

رُبما كنتُ أهرُبُ من الحب، وأخشى مُلاقاته حتى وجدتُكَ، وعلمتُ ماذا يعني أن تأتي الأشياء في مواعيدها الصحيحة.

هذه هي رسالتي الأولى التي أُخبرك بها أنَّ ذكرياتي بدأت في التلاشي، بالكاد أتذكَّر وجهك، صوتك، وطريقة حديثك يبدو أنَّ الأيام قد نالت من ذاكرتي ما يكفي ليجعلها تتآكل، ويجعلك تختفي رويدًا رويدًا.

نظرتُ إليك نظرةً أخيرةً خالية من المحاولاتِ، وتأملتُ أن تكون خاليةً من الحُبِّ أيضًا، وسألتُ نفسي: أكنتُ أستحقُّ أن تنتهي قصتنا بهذه الطريقة، بلا وداعٍ؟ أهذه نهايةٌ تليق بنا بعدما ركضتُ لأجلكَ كل هذه الطُرق؟ على أمل أن يجمعنا منعطف، أو شارع، أو حتى قصيدة، لكننا لم نلتقِ، ولم أعثر على إجابةٍ حتى الآن.

عزيزي فلان، أراك وحدك في غُربتي، رغم كثرة من حولي
إلا أن طيفك يحوم حولي ليلَ نهارَ، ولا غُربةَ في مكانٍ
يزوره طيفُك
في غُربتي، أراك في عيون الناس وملامحهم، أُفتش عن
عنوانك القديم المُرفق بذاكرة الأيام، أراكَ لسببٍ مجهولٍ في
كل شيءٍ حولي، وأُغني وأنا مُشتاقٌ: "حبيبي كان هنا، مالي
الدنيا عليا بالحبِّ والهنا، حبيبي يا أنا، يا أغلى من عينيا"،
ولا أستطيع أن أُكمل تلك الجزئية التي تقول فيها ميادة:
"نسيت مين أنا؟ أنا الحب اللي كان، اللي نسيته أوام من قبل
الأوان، نسيت اسمي كمان؟"
أتمنى أنك لم تنسَ طريقي، ولكن ربما الطريق إليّ مُزدحمٌ
وذلك ما يُؤخرك، أو رُبما رأيت أشواكي لا أشواقي، وذلك
جعلك تتباطأ
عزيزي فلان، ألا تتذكرني؟ ألا تتذكر حبي؟ إن كنتَ نسيت،
فأنا لم أنسَ، وما زلتُ أحنُّ وأبحثُ عنك في الطُرقات، أبحث
عن أثرك في شعري وعلى جبيني، عسى أن أراك، وتتوقف
يدي عن البحث عن يدك
أرفض وبشدة أن ترحل، وإن أردتَ الرحيل، فخذني معك،
أو خذ ذكرياتنا، لا تتركني وحدي هنا أصارع بعضهم
وأتحسر على بعضهم

عزيزي فلان، أنا ضالٌّ دونك، لم يستطع أحدٌ قبلك أن يُضعف قلبي ويجعل الشوقَ يمسُّه، ثم إنك الوحيد الذي كتبتُ له، الوحيد الذي أردتُ قراءته وأن أفتح سراديبَ قلبه، أكان جزائي أن تأكل ذكرياتُك جُدرانَ روحي، وأن أصبح سجينة اندفاعي نحوك؟ العقاقير أصبحت غير مُجدية لنسيانك، ولا تمنع الليالي الموحشة من زيارتي لتُذكرني أنكَ لستَ هُنا، فيعلو حولي صمتٌ رهيب، وكم أمقت ذلك

عزيزي فلان، ألم تشتاق إليّ؟ ألم تَعُد حروفي تحثك على مراسلتي؟

وفي تمام الساعة الثانية ظهرًا يغتالني الحنين، حاولتُ ألا أنصاع لأفكاري وألا أُفكر فيك كما أقسمتُ لنفسي، وفي كُل مرة أسأل عن كفارة للقسم، سرتُ في ذلك الطريق شارد العقل، تهب عليّ تلك الرياح التي أعلمُها جيدًا، أعلم أن هذه الموجة المناخية الكئيبة ستجعلني أنجرف في شلالٍ من التعاسة لن أستطيع الصمود أمامه، وستؤول كل محاولاتي لنسيانك إلى الفشل، سأفكر في لماذا يُعاد كُل شيءٍ ولكن بفصولٍ محذوفة، سرتُ معك مُسبقًا هنا، أنت وكل أحلامي، تلك الأحلام غير المكتملة التي كنتُ أنوي تحقيقها معك، تبخرت تمامًا

في تمام الثانية ظهرًا، أحتسي القهوة في ذلك المكان المفضل لدي تعويضًا عن جميع الذكريات السعيدة التي ستُطاردني ليلًا ونهارًا، تعويضًا عن شعوري بالفشل وعن كُل أحلامي غير المكتملة، تعويضًا عن جهدي في تبرير رحيلك عني، وعن سبب انتهاء هذه العلاقة، تعويضًا عن الجرح الذي تسببت فيه كلماتك الأخيرة في وداعنا، التي نتج عنها قلبٌ مكسور، ومبالغ طائلة في جلسات مع طبيبي النفسي، وأخيرًا تعويضًا عن سذاجتي المفرطة في الإيمان بك

ولا أدري لماذا تغير طعم القهوة فجأة وكأنها امتلأت بالدموع المُذرفة بحُرقة مع القليل من الذكريات الأليمة، والكثير الكثير من الإنكار.

أدركتُ مؤخرًا أن الحب هو أن نتطابق، وكأنك تنظر إلى بركة وترى وجهك فيها، أن تُنسَخ مصطلحاتك في ذاكرتي وأستخدمها من دون وعي، أن أذكُر معالم ديانتك في كثيرٍ من نصوصي، أن أصطحبك في دعائي، أن يسير قلبي نحوك خطواتٍ مجهولةَ المصير حتى وإن كنتُ أعلم أن الناتج في نهاية هذه المعادلة سيكون صفرًا، أن أقول "نعم" وأنا مبتسمٌ وراضٍ رغم كوني عنيدًا ولا أقول إلا "لا" أن تلمع عيناي عندما أراك سعيدًا، وكأنك - وبدون وعيٍ مِنكَ - جعلت عينيَّ المغمضتين يدبّ فيهما البصر.

أُحبُّ في القهوة بذُورها المُرَّة، بينما الناسُ يتحاكونَ بلذَّتِها، ترتوي روحي بصقيعِ ديسمبر، بينما الناسُ يتأفَّفونَ من البرد، أعشَقُ في الليلِ سوادَهُ الحالِكِ، بينما الناسُ يتطلَّعونَ إلى خيطِ الفجرِ الأبيضِ، أفهمتَ مَقصدي يا عزيزي؟

أعترفُ إنني أفتقدُه، وإنني وجدتُ فيه ما بحثتُ عنه طويلاً، أعترفُ أنَّ هذا التعلُّق يأكلُ روحي، وأنَّ مشاعري تجاهَه مضطربة كثيرًا، فتارةً أشعرُ بالحبِّ، وفي حالاتٍ أُخرى أشعرُ إنني لا أريدهُ أن يحصل على غيري، ولا يكسبَ أحدٌ روحَه المتعبة، ألا يُكشفُ لأحدٍ غيري، ولا يتجرَّأ أحدٌ من الاقترابِ من محرابِ قلبهِ، ولا يُرى وجهَه المُزخرفَ بحروفِ البراءة، حتى يده التي لم يَكتُب لي الحظُّ لمسها بَعد، فهي ملكٌ لي إن أذن لي بذلك.

كان يُحبُّ عينَيَّ، ويكرهُ نفسهُ لأنَّهُ أحبَّ شيئًا ما، أو أحدًا ما، خالعًا عباءة "الرجولة"، وكيف كان يسخرُ مني ظنًّا منهُ أنَّهُ يُضبط ميله إليَّ، ويُعدِّل من وضع قلبه، لا أعلمُ كيفَ ومتى أصبحتُ تلكَ الإنسانة التي يُريدُ أن يعيشَ ويضحكَ معها، علِّمتهُ ونحنُ صغارٌ نوعًا ما، لم نكن نعلمُ ماذا يعني حُبّ، عندما عرضَ عليَّ الزواج، أضحكتني طريقتهُ، الضحكُ المُحبَّبُ للقلب، قال لي بجديَّةٍ لا أعهدها: "لا أستطيعُ أن أكتبَ الشِعر، ولا أفهمُ الكثيرَ من نصوصكِ، ولكنَّني أستطيعُ فعلَ أيِّ شيءٍ لكِ، أستطيعُ حمايةَ قلبكِ من الحزن، طبعًا ليس من الصحيح أن تتزوجي رجلًا فقط لأنَّهُ يستطيعُ زحزحةَ الأيام السيئة، إنما هو رؤيةُ الأيام السعيدة معهُ، وسأقبلُ بعدمِ معرفتكِ لوصفاتِ الطعام، وسأقبلُ غضبكِ غير المُبرر، وغيرتَكِ المُفرطة"

متى صارَ صديقي الذي علِّمتهُ في مدرستي رجلًا ذا قلبٍ ومنطقٍ إلى هذا الحدِّ؟ لقد استطاع أن يجعلني أُحبُّه بالفعل، حُبًّا غريبًا لا أستطيعُ تفسيرَه، كان كزهرةٍ جميلةٍ وسطَ ذكرياتِ طفولتي الحزينة، كيفَ يكونُ شخصٌ بهذا النبلِ والجمالِ جزءًا من حياة إنسانةٍ مثلي؟ لا أنكرُ، لم أستطع رفضَ طلبه، أنا التي يُلقِّبونني دائمًا "بالمعقدة"، يبدو أنَّ العقدة قد حُلَّت، وتقبلتُ حُبَّه، واعترافه الرجوليَّ بكلِّ ما كانَ فيه من زحامٍ، وفوضى، وتعابيرَ مُرتبكة، أردتُ أن أكون

بجوارهِ دائمًا، وأقرأ عينَيهِ الجميلتين، وأتفحصَ قلبه الطيب، ونداوي جروحهُ معًا، أن ألمسَ يدَيه في ليالي نوفَمبَر الباردة، وأُعدَّ له القهوة، لهُ فقط

تعلَم؟ أمي تخبرني: من ذا الذي أذاب ذلك الجدارَ الجليديَّ على قلبكِ وجعلكِ تُحبِّينه؟ أعذِرُ أمي فهي لم ترَ عينَيه، يا أمي، في عينَيهِ وَنسٌ كالبيوتِ القديمة، كالمساجدِ المُزخرفة، والكنائسِ الأثرية، كانَ بهِ من الأمانِ ما يكفي ليُطمئنني، حينَ عثرتُ عليه شعرتُ أنني مُكتملةٌ يا أمي لأول مرة.

سيدي، مهما بلغ حُبي مُنتهاه، أريدك أن تظلَّ سرِّي، أُناديك مجهولاً في علم الغيب، وأمشي مع سطور محمود درويش لعلّني أتعثر بك، وأخبرهم عنك، أُخبرهم: "إنّي أُحبُّك رغم أنف قبيلتي، ومدينتي، وسلاسل العادات" وأنّي كلما حاولتُ تثبيت الحبر بين أصابعي كي لا أُرسل لك الخطاب رقم مئة، رُغمًا عني يَسقط الحبر ويَكتُب لكَ، رُبما أسألك عن حالك، ومع من أنت الآن، وهل أعجبك الكتاب الذي أهديته لك؟ ذلك تزييف مطلق، أنا أقصد أُحبك.

ليس رغبةً في البُعد، ولا زُهدًا في القُرب، ولكنني يا عزيزي
لا أستطيع التقدُّم أكثر من ذلك، قدمي ترتجف، وقلبي أيضًا،
انتظرتُكَ على الطرقات، أسأل الناس عنكَ، يقولون لن يأتي،
أقول سيأتي مهما تأخَّر، أنت لم تنساني يا عزيزي، صحيح؟
ذُبتُ من الشوق، وأبلغتُ الطيورَ؛ كي تنقله إليك، وانتظرتُ
أنا هُنا وحدي، أقرأ حروف رسالتي التي بالكاد كانت تُقرأ؛
فدموعي جعلت الحروف تتداخل ويبهت الحبر، اكتب إليّ
أرجوك، لا تتركني وحدي أراقب مشاعري وهي تُصاب
بالشيخوخة، وقلبي وهو يُهاجَم بالظنون الهائجة، أنا الوحيدة
التي تؤمن بأنك آتٍ،لقد مللتُ من محاولات ترقيع أدلة
وجودك، وأنك لم تنسَ طريقي، اكتب لي أرجوك، لأني لا
أعرف إلى متى سأصمُد، ولا تَغِب أكثر من ذلك يا رجل.

كان حُبِّي له تتأرجح فيه الأحلام، ما بين ممكنٍ ومستحيل، ذلك الحُب الذي كُتِبَ عليه أن يحتضر في رحم شبابه، حتى إنني لم أقْوَ على تخليد اسمه في نصوصي، دائمًا أكتب: إلى غائب، إلى فلان، إلى عزيزي، حتى لا أغتاب ذكرك، ولا أُشَوِّه شيئًا من حكاياتنا التي لا أُريد أن تُصيبها الأتربة، ولكني أتذكرك على مهل، وكأنك تنساب من ذاكرتي إلى حبري بدون أي مقاومة، بعدما أعمتني الأيام عن رؤية قلبي،

ها أنا أكتشف أشياءَ أعمق به من ضخ الدماء

أطلالٌ من الأعذار أسكُبها تحت قدميك، أنا الذي لم أستطع إعادة تكوين الطبيعة لأجل قلبك، أنا الذي لم أستطع أن أُصارع نيران التقاليد لأجل أبدية الوجود معك

عزيزي، أنا هنا بكل ترددي واندفاعي نحوك، مع كوب قهوة، على الرغم من أنني عقدتُ العزم ألا أرتشفها إلا في حضورك، ولكني أُعتق ذكرياتنا، وحروفي تلك بالبُنّ، والهيل، والشبق، وصوت فيروز وهي تُغني: "غمضت عيوني؛ خوفي للناس يشوفوك مخبى بعيوني" سأعترف لكَ بسر، بما أنك لا تسمعني ولن تشي به لأحد، عندما أتذكرك تنتابني حالة من الفوضى، واللاوعي، أخلق من العدم حضورك، في حُبك، لم أعرف البكاء على الأطلال، كانت كلما دمرتني الأوجاع يُعانقني صوتك لأنسى من أنا؟ وماذا عانيت في حياتي؟

وسط زحامِ يومي، رغم انشغالي بعائلتي، وأصدقائي، ودراستي، إلا أنني أفكر فيكَ كثيرًا، مع من أنتَ الآن؟ وكيف تشعر؟ هل تحتاج إليَّ؟ هل أنت بخير؟ وأعود لأتذكرك كي أُؤنس تلك الليالي الخالية منك، كي لا يأكلني الشوق ببطء، هل تتذكر ابتسامتي البلهاء عند وقوع عيني على ابتسامتك؟ وعلى خصلات شعرك المتلألئة تحت أضواء الشارع؟ عيناك الصغيرتان اللتان ظلّتا تحدقان في كل شيء حولنا، إلا أنا عيناك اللتان أجبرتا كل شيء حولي أن يلزم الصمت، كم تمنيت أن يتوقف الوقت، والناس، والسيارات
أتذكر عندما رحلنا وأرسلتَ لي ما لم تستطع إخباري به وقتها، ولا أعلم لماذا تضطرب معدتي كثيرًا عند تذكُركَ، وتتسارع دقات قلبي كلما تحدثتُ عنكَ، لم أستطع إخفاء ارتباكي لا وقتها، ولا الآن وأنا أكتُب تلك الرسالة، تأسرني فكرة الوقوع في حُبك، وسقوط كل الحواجز التي بنيتُها، فقط لأجلك ولأني أُدرك قيمة الرسائل المكتوبة باليد، أُدرك معنى أن تُهدى الحروف للشخص الصحيح، لذلك اكتُب لكَ الآن،وأتمنى ألا يتعطل البريد، وتصلك حروفي ومعها شُوقي، أعلم أنك ستصنع الكثير من الكوميديا على محتوياتها، وستُخبرني مَن شوقي؟ وستُخبرني أن خطي السيئ سيُفسد مُستقبلي ككاتبة،أتمنى أن يُشتتك محتوى الرسالة عن سوء خطي
أُحبك، كُن بخير ___حبيبتُكَ

إهداء إلى ذلك الذي ينتهي اسمه بحرف الدال

سنجلس أحرارًا على رصيفِ شارعٍ، أسرق لك وردةً حمراءَ من حديقةِ جارنا، أكتب لكَ الكثير من الخطابات، فتقرأ، وتعي مَقصدي، وتخجل، أو رُبما تُرسل لي أغنيةً تشرح بها نفسك، لا تقلق، لن أُفشي سرك لأحد، سأُبقي مشاعرك لي فقط، ذلك هو سري، أنت سري يا صاحب حرفِ الميم، ذلك السر الذي يأخذني إلى التغني بالوفاء، هذا الحُب الذي كُلما مرَّ على ذاكرتي أصابني بدغدغةٍ، ومَحَى كلَّ الندوب التي كانت قَبلك، أنا لا أكتب بشكلٍ جميلٍ كما أخبرتني، أنا فقط أُحبك، ورُغمًا عني أصبحتُ كاتبًا؛ في محاولةٍ مني كي أسير إليكَ مع بيتِ شعرٍ، أو سطرِ نثرٍ، أو لحنِ أغنيةٍ، أي شيءٍ يُجردني من عباءةِ التقاليد ويُذكرني بمن أنا؟ وأين أنا؟ لأتذكر فقط أنني أُحبك، أُحبك بكل تفاصيلك التي لا يلتفت إليها أحد، أنتَ مُبهرٌ بشكلٍ لا تتوقعه يا عزيزي ابقَ هُنا دومًا، وهُنا تعني روحي.

لكَ يا عزيزي طُقوسٌ مُريبةٌ، تَجتاحُني بلا أدنى مُقاومةٍ، وتُهاجِمُني بغتةً من مَداخِلِ وحدتي، كم أُحبُ يا عزيزي أن أُناديكَ باسمك، لم تُفلح معي صيغةُ الملكيةِ عندما أضَفتُها إليه، وشعرتُ أن فيها شيئًا من العبوديةِ، وأنا لا أودُّ ذلك إلا بمحضِ إرادتكَ، لا أريدُ أن أشعُر أنني مُجرمٌ ذو حقٍّ مُكتسبٍ بكَ.

أريدُ أن أقول لكِ شيئًا عالقًا في جُدران روحي
ماذا إن قُلِبَ الأملُ ضدي يا عزيزتي، ولم نُصبح معًا؟ ماذا إن غادرني الأملُ، أملُ أن أكون معكِ، أملُ أن أكون والدًا لأبنائكِ؟ ماذا إذا زفّتني الحياةُ لامرأةٍ غيركِ، وصحوتُ ووجدتُ بجانبي امرأة ليست أنتِ؟ هل سأستطيع تقبيلُ جبينها وأُخبرها "صباح الخير يا كُل الخير" أم فقط سأنهض لأتجه إلى عملي؟ ماذا لو التقينا صدفةً بعد عشر سنوات، أنا مع عائلتي الكبيرة التي كان من المفترض أن تكون منكِ، وأنتِ بجوار الرجُل الذي لا يزال قلبُكِ رُغمًا عنكِ يُناديه باسمي، ماذا أفعل حين أنظر لأبنائكِ الذين كانوا من المفترض أن يكونوا أبنائي؟ ماذا سأُخبر ابني عندما يسألني: "من هذه؟" وهل سأستطيع إخفاء لمعة عينيَّ إثرَ رؤياكِ؟ قولي لي يا جنتي، لماذا قذفوا بي خارج أسواركِ وأنا لم يُوسوس لي الشيطان، ولم أقرَب أشجاركِ؟ يا جنتي، هل يومًا سترسو قدمي على أرضكِ؟

صرتُ أكتُبُ لأجلكِ، أعزفُ الموسيقى لأجلكِ،صِرتُ مُغرمًا بكتابات نزار قباني لأجلكِ، ولا أتخيلها إلا لكِ، وكأنه كان هُنا معنا وفشى سرنا عندما كتب: "هل عندكِ شكٌّ أنكِ أحلى وأغلى امرأةٍ في الدنيا، وأن دخولَكِ في قلبي هو أعظم يومٍ في التاريخ، وأجمل خَبرٍ في الدنيا، هل عندكِ شكٌّ أنكِ عُمري وحياتي، وبأنِّي من عينيكِ سرقتُ النار، وقمتُ بأخطر ثوراتي، أيتها الوردة، والريحانة، والياقوتة، والسُّلطانة، يا قمرًا يطلع كل مساءٍ من نافذةِ الكلماتِ، يا أعظم فتحٍ بين جميع فُتُوحاتي، يا آخر وطنٍ أُولد فيه، وأدفن فيه كتاباتي" لأُضيف على قوله: "يا آخر سعادةٍ غمرتني، يا سحابة المطر، يا طعم البراءة، ويا كُل العُمر" هل تُحبين قُربي مثلما أُحب قُربكِ؟ هل تُحبيني مثلما أُحبُّكِ، يا التي لا أقوى على ذِكر اسمها؟ أُدرك أنني سأكون معكِ في النهاية، فمثلي لا يخسر، فأقبلي وهَلُمِّي.

أخبرتِيني ذاتَ مرةٍ: "ماذا لو قررتُ بمحضِ إرادتي الرحيلَ عنكَ؟" قُلتُ لكِ بكِبرٍ: "من يرحلُ بإرادته لن أَهتمَّ لرحيله"
يبدو أنني ندمتُ كثيرًا على إجابتي تلك، لو عادت بنا الأيام وسألتِيني مُجددًا، سأقول لكِ: "لا يجوز، لأني رجلٌ مؤمن، وفي الإسلام لا يجوز قتلُ المؤمنِ عمدًا" ورحيلُكِ عني ينحرُ روحي وقلبي
لو عُدتِ إليّ، سأُوصدُ عليكِ قلبي، ولن أسمح لكِ بالرحيل مُجددًا، سأُحبُّكِ كما لم أُحبَّ أحدًا من قبل، سأُجدِّدُ جلدي من أجلكِ، وسأتقبلُ فلسفتكِ تجاه الحياة، تجاه الحُب، وسأجعلكِ تتشبثينَ بالحياة أكثرَ من ذلك، أو أن تتخذيني أنا سببًا للحياة، لو فقط عُدتِ إليّ، حتى إن كُنتُ في الثمانين من عُمري، وقَبلتِ ظهري المقوَّس إلى الأمام بفعل القراءة، وقبلتِ مفاصلي التي تُصدر أنينًا، ولم تنزعجي من شفتَيَّ الضامرتين، العابقتين بطعم القهوة والسجائر، ولا من تلك الأخاديد التي رسمتها التجاعيد حول عينيّ، وقتها سأقول لكِ كلامًا لم تسمعه أُذنُ بشر، سأُعدُّ لنا القهوة ونتحدث عن العمر الذي أضعناه ونحن نبحث عن بعضنا في أُناسٍ غيرِنا عزيزتي ذات البشرة الشاحبة والعيون العسلية، هل اشتقتِ إليّ؟

لا أدري ما السر في عينيكَ ولماذا تجعل مسارات النبض فيّ تَضطربُ، وفي كُل مرةٍ يعلو صخب قلبي وكأنني أراها لأولِ مرةٍ، أثق أنك تجهل كَم اللحظات التي كنت أتأملك فيها بعيون مُتخفية؛ محاولةً مِني لإطفاء نار شوقي
يا سيدي، مثلي يموت من الاشتياق، وقد مر وقتٌ طويلٌ منذ آخر مرة التقينا فيها على ناصية حلم، مر وقتٌ طويل منذ أن انطربتْ أُذني بصوتِكَ، وتكحلتْ عيناي برؤياك، رغم عِلمي التام أن الأرواح تتخاطر، والقلوب تتصل، مؤمنٌ أن السحاب يتلصص علينا ليجمع ما نذرفه من دمعٍ لِيُسقطها على الآخر، مؤمنٌ أن النجوم تستمع لأحاديثنا وتخزنُ صوتنا بها، وكلما اشتقنا لبعضنا ننظر إليها فأجد جزءًا مِنكَ هُنا، أو رُبما كُلكَ
يا سيدي، لا أعلم ما سر الحب الذي يجعلني أقبلُ بِفلسفَتِكَ الشرقيةِ، أقبلُ بأن يُصيبني سهم حُبك دون أن يكترث بكل التفاصيل، العمر، اللون، البلد، وأشياء أُخرى، لكننا نحن أكثر من يعرف كيف يحفظ للمشاعر قُدسيتها رغم ذلك البعد، الذي لن أُنكر أنه يقتُلُني، ولكنني بعد انقطاع أدعو، وبعد عجز أعدو، وبعد يأس أعود لأكتُب لكَ؛ لأخبرك أن نكون معًا، أو لا نكون، هذه فلسفةٌ قدريةٌ لا أفقهُ فيها شيئًا، ما أعلمه أن وجودك لم يكن محض صدفة، بل هو حكم الرب الأعظم

يا عزيزي، ومع قولي عزيزي، وحدك من ستقرأ اسمك مخبأ خلف حروفي، وذلك يجعلني أود أن أتوارى عن نظرك، كي لا أُكشف، وتعلم كم أحبك.

أغارُ عليكَ من همسةٍ ليست لي، من كلامٍ عَطِرٍ يُقال لكَ وأنا لستُ قائله، إذا لامستكَ عيونُ سوايَ؛ تثورُ دمائي ويغلي صدري

أغارُ على ابتساماتكَ المُتَناثِرَة يمينًا ويسارًا، أعلمُ أنه لا سُلطانَ عليكَ بعدَ سلطانِ الله، ولكنكَ تعلمُ أيضًا كم قاسيتُ كي تُصبحَ لي، حُبي لكَ لم يكُن سهلًا ميسورًا، فهو قد وُلِدَ من رحمِ المعوقاتِ والعقباتِ، فكيفَ لي أن أراكَ تُشاركُ نبضَكَ، وضحكاتكَ مع غيري؟ لا يحقُ لأحدٍ أن يُفتنَ بكَ، إن كنتَ لا تعلم، فأنا أغارُ عليكَ كبضعةٍ مني، أو كُلٍّ لبعضي، أخشى أن تتيممَ بزمزمَ غيري، أما أنا أُحبُّكَ أو لا أحد وما أسودَ أيامكَ يا عزيزي إن ذَكَرَ ثَغرَكَ اسم أُنثى غيري، وحدي من يحقُّ لها أن يتلو ثغركَ اسمها، قد يُسمى ذلك استبدادًا في قواميسِ غيري، ولكني فقط أُحبُّكَ، كحبِّ الأطفالِ للسكر، للألعاب، وللعيد.

عزيزي، منذ أن عرفتك بدأتُ بالتمرُّد على القواعد ومخالفة التنسيق، أختار مِن الحركات ما يُناسبك فقط، وأضمُّك وإن كانت القواعد تُجبرني على الكسر، فهل سيحدث شيءٌ إذا نصفتُك أنتَ على اللغة؟

عزيزي، في مثل هذا اليوم عندما أخبرتني أنك تُحبُّني، وقتها القمر ظلَّ ينظر إلينا مُبتسمًا، أُقسم أنه قال: "ومتى دورُنا يا شمس؟" أخبرتني أنه لا سبيلَ للتخلص من حُبّكَ شئتُ أم أبيتُ، شعرتُ أنني محظوظةٌ بما يكفي كي يضع الله حُبِّي في قلب رجلٍ مثلكَ، حتى النجوم وقتها كانت مُتراصَّةً وتَشِعُّ حُبًّا؛ وكأنَّ العالم كله يُرحب بدخولك حياتي، الدنيا تَحتفي بمرورك داخلي، أنت لا تمرُّ فحسب، بل أنت مُقيمٌ بي، أنت نعمةٌ من الله أتت لي على غير دراية، صِدقًا، أنا أُحبُّك، علانيةً أقولها، أُحبُّك جدًا، حين عثرتُ عليكَ طبطب العالم على قلبي، مُعلِنًا بدايةً جديدة، كجرعة حياة زائدة أتت لشخصٍ على فراشِ الموتِ، وكأنني مُنِحتُ ذخيرةً للأمامِ، من وقتها وأنا أُرحب بالصباحِ، وبشروق شمس يومٍ جديد، لا أتذمر كعادتي، ولم أعُد أحتاج القهوة كي أنهض من فراشي، لا أدري ماذا تفعل بي كلما مررتَ بخاطري، كلُّ ما أشعر به أنك الوحيد القادر على تحويل اليابس بداخلي إلى أخضر، تُضيء العتمة التي تكمن في ضلوعي، وحدكَ مَن تعبث

بجوارحي، وحدك تُلهب مشاعري وتُطربُ فؤادي، وتُخرج
تلك الكلمات رُغمًا عني، أنكَ الوحيد الذي رغبتُ في إكمال
ما تبقى من عمري معه، ولأول مرة شعرتُ أنني أتقاسم
المسافات، والليل، والويل، والحب مع أحد
يا عزيزي، في آخر أيام أكتوبر، ها أنت تقرأ ما كتبتُ، وما
خطَّت يدي تلك الكلمات، إلا لأجلك وحدكَ.

مهما حالت بيننا الحواجزُ، والأزمنةُ، والمسافاتُ، فإنني لن أقبل بنصفك، ولن أعيش بغيرك، إنما مَحيايَ بكَ، وأنا أعلم أن الذي يجعلُ الحُبَّ يَثبُتُ في عينين لم تلتقيا إلا مرةً، قادرٌ على أن يجعل الأخبارَ تصلُ وإن لم أَسْرِدْها في كُلِّ مرةٍ رغم أنك تبعدُ عني ثلاثَ محافظاتٍ، وعشرين مدينةً، ومئتي ميل، إلا أننا التقينا وتراءينا، الرؤية التي أقصدُها مختلفةٌ تمامًا، فهي ليست تلك التي تتصافحُ فيها العيون، إنما تلك التي تتعانقُ فيها القلوب، الرؤية التي أقصدُها تلك التي نرى من خلالها أحدهم شفافًا، مُتجردًا من كُل شيءٍ، عدا قلبه عزيزي، كم أودُّ أن أتخلى عن كبريائي الذي يجعلني أتظاهرُ بالثبات؛ لأخبرك أن داخلي لم يشهد طوالَ حياته انقلابًا أعتى من انقلابي رأسًا على عقبٍ حين رأيتك، هدَّدتْ أركانك جوارحي، وألهبتْ خواطري بُرودَ جوانحي، وأشعلتْ عيونُك بي ثورةً، وفعل بي صوتُك الأفاعيل، كُل شيءٍ حولي يُخبرني أنني واقعٌ في شِباكِك.

ألا يا قَلبُ ما لَكَ لا تَمَلُّ منَ الهوى؟ ألم يُعَلمكَ بُعدُهُ الجَفَاءَ؟ لِمَ ما زِلتَ تَتَقدمُ - رَغمَ اضطِرَابِكَ وَتَردُّدِكَ - نَحوَهُ، فَفي كُلِّ مَرَّةٍ أَعِدُكَ ألا أكتُبَ لَكَ يَتمَردُ شَوقي عَلى كِبريائِي وَيَنسابُ الحِبرُ مِن بَينِ أصَابِعِي كَي أُخَاطبَكَ، بِضميرِ الغائب أُخاطِبُكَ، وَألقِي اللومَ عَلى اللغَةِ لِأنها جَعَلتكَ غَائِبًا في نُصُوصِي، بَعدَما كُنتَ أول الحَاضِرِين، وَالآن أخبِرنِي يَا عَزِيزي، لِمَاذَا أَنتَ بَعِيدٌ عَن العَينِ وَلَكِنَّكَ مُلتَصِقٌ بِالفُؤَادِ، وَلِماذا ذَبَلَت زُهُورُ رُوحِي مِن بَعدِكَ، وَلَم تفلِح مَعِي صَلاةُ الاستسقاءِ، يَكَاد يُقرَأُ في عَينيَّ إننِي مُفتقدُكَ، وَإن لَمعةَ عينَيَّ أنطفَأت، وَدَخَلَت فَرَاشَاتُ مَعِدَتِي في سُبَاتٍ عَمِيقٍ، وَاختَفَت ابتسَامَتِي شيئًا فَشيئًا، حَتَّى أشيَائِي ثَائِرَةٌ عَلَيَّ تُخْبِرُنِي إِنَّنِي السَّبَبُ في ضِيَاعِكَ، قَلَمِي يُخبرُني أنهُ لَن يَكتُبَ عَن غَيرِكَ، أَنتَ أَو لا أَحَدٌ غيرُكَ، وَقَلبِي مُضطَرِبٌ يَشكُو لِلعَابِرِينَ أَنهُ يَفتقِدُكَ، إِسطُونَاتُ دَالِيدَا الَّتِي بِهَا أَغَانِينَا المُفَضَّلَةُ، كُوبِي المُفَضَّلُ الَّذِي أعدَدتُ لَكَ القَهْوَةَ بِهِ، حَتَّى عَينَايَ الَّتَانِ بَكتَا بِسَبَبِكَ كَثِيرًا مِن المَرَّاتِ فَهِي لَم تَبحث إلَّا عَنكَ، أُفتشُ عَنكَ في الصُّفَحِ، وَفي نَشَرَاتِ الأَخبَارِ، الجَمِيعُ اَتفقُوا عَلى أَنني السَّبَبُ في غِيَابِكَ، الجَمِيعُ يَلُومُنِي، وَيُعاتِبُونني بِقَسوَةٍ، إن لَم تَرحَل كَانَ قَلبِي سَيَضُخُّ الحُب بَدَلًا منَ الحُزنِ، وكَان قَلَمِي سَيَكتبُ عَن الشّوقِ لا الشَّوكِ، كَانَت العَصَافِيرُ سَتُغَنِّي، وَسَيَزدَادُ ضوء القَمَرِ حَتَّى إن كَانَ بَدرًا، فهَل عُدتَ؟

أسِفتُ لأنني دفعتُه بعيدًا حين كُنتُ أريدُه أن يكونَ أقربَ إليَّ من جفني، وأسِفَ هو لأنه كان عليه أن يكونَ أكثرَ فهمًا للطريقة التي أقولُ بها "نعم" وأن يعلمَ كيف نتمنَّع ونحنُ راغبات.

الناس بارعون في تذكُّر اللحظاتِ الأولى التي يبدأُ فيها الحُبُّ، وأنا أُحاولُ يا عزيزي، لكنَّني لا أُفلِحُ في القبض على لحظةٍ بعينِها والقول: هذه هي!

عندما تعرَّفتُ عليكَ أولَ مرةٍ كنتُ غاضبةً منك؛ لأنَّ ذوقَنا الموسيقيَّ كانَ مختلفًا، تشاجرنا وقتها، رأيتُكَ جاهلًا لا تفهمُ الموسيقى الغربية، ولأول مرةٍ أقولُ لنفسي: كيفَ يكونُ الجهلُ جذابًا لهذه الدرجة؟ وعندما تعارفنا أكثرَ أهدَيْتَ لي صورةً لفريقي الغنائيِّ المُفضَّل - رغم كرهِكَ الشديدِ لهم - وعندما بدأنا أولَ حديثٍ بعيدًا عن أصدقائنا، شعرتُ أنني بشكلٍ أو بآخر أعرفُكَ منذ زمنٍ، ذلك السكونُ الذي كانَ يحتلُّ عقلي كُلما أُحادثك، وتلك اللهفةُ لمُراسلتك، حتى اسمي منك كانَ مُختلفًا، كانَ جميلًا

المشكلةُ ليست في الذاكرة، أنا أذكرُ كلَّ مرَّاتِنا الأولى، أولَ مرةٍ سمعتُ صوتَك، وأولَ مرةٍ أرسلتَ لي أغنيةً يغلبُ عليها طابعُك الغريب، وأولَ مرةٍ عندما أخبرتني أنك تُحبُّني، وأولَ مرةٍ عندما تلاقينا، لكن ليس بوسعي أن أقول أنَّ أيًا منها كان لحظةَ ميلادِ الحُبِّ، لا أعرفُ متى بالضبط أحببتُك، لكن عندما ابتعدنا للمرةِ الأولى، وغبتَ عني، لم أرغب في النهوضِ من الفراش، وبدا لي إن لم نتواصل مُجدَّدًا وتعود إليَّ؛ سأفقد رغبتي في البقاءِ على قيدِ الحياة، أدركتُ لأول مرةٍ أنَّ غيابَك يُقوِّضُ طمأنينتي، ويَنقُضُ صُلحي مع العالم.

عزيزي، تبدو الأيّام جميعُها في بُعدك مُتشابهة، تُسمّى الأشياءُ بأصلِها، وأنظرُ إلى التواريخ كما هي، لا تقرعُ ذكراكَ ذاكرتي، ولم تَعُد يدي تبحثُ عن يدكَ

هل تعلم يا عزيزي؟ جَفَّ مَدمَعي في بُعدك، أصبحت الأشياء باهِتة، وكلّما حاولتُ القولَ إنني نسيتُك، وكلّما أجبرتُ قلمي على أن يخطو بِما أُريدُ لا بما يشعر، أجدُني أكذب، وهذه ليست طبيعتي يا عزيزي، لا أنا ناسيتُكَ ولا تناسيتُكَ، ظننتُ أنّني إن توقفتُ عن رؤيتك؛ سأنسى رائحتك، وستتبدد ملامحُك من ذاكرتي شيئًا فشيئًا، ولكنك مرفقٌ بذاكرتي، كتفصيلةٍ لا أغيبُ عنها، كَلُغتي، وبيتي، واسمي، أخشى أن تظلَّ عالقًا بي، تُرعبني فكرةُ أنّني سأبحث عنكَ في كلّ رجلٍ أُقابله، وما زال قلبي يُصارعني من أجلك، يُخبرني أن الذكريات تُثقله وتجعله يبهَت، يرفض بشدة أن يفتحَ مصراعيه لغيرك، أن يتركَ غيرك بصمته عليه، أرفض وبشدّة يا عزيزي

عزيزي، أنا أشتاقُ لكَ، ثم إنني أُصارعُ شوقي؛ كي لا يهربَ من أوراقي ويتسلّلَ إليكَ، أكبحُ حروفي عن البكاء، وأرتجي الأدراجَ أن تحتفظَ بتلك الأوراق المكتوبة، وتُخففَ من ثُقلها على قلبي

عزيزي، كيف لي أن أنساك، وأنت أوّل من أتذكّره كلّما نظرتُ لعيني؟

كان يا ما كان في زمنٍ من الأزمانِ، نبتت الأحلام في قلبٍ خائفٍ مكسور، نصفه فوق السحابِ محمول، والنصف الآخر بين الطينِ مغمور، بعدما تيقن أن الحب لا يجد مسكنه في قلبه؛ أتيتَ أنتَ، أزلتَ عنه آثار الخدوش السابقة، ومحوتَ ندباتِ الخذلان، وأغلقتَ أبواب الهوى عليك؛ كي لا يُفكر في أي رجُلٍ غيركَ، وكيف يفعل وقد زرع الله فيه حُبَّ رجُلٍ مثلكَ؟ فيحقُّ لك الإخلاص في النية وفي الفعل، ربما حُبك كثيرٌ على قلبي، ولكنه محمودٌ مُحببٌ، والله إذا كلف عباده بأمرٍ أعانهم عليه، وها هو قلبي قد كُلِّفَ بك

عزيزي، وكم أُحب مُناداتك عزيزي، عرفتُ أن القلب لم يكن يومًا كتابَ رياضياتٍ؛ حتى يحسب الواحد مُضافًا إلى واحدٍ يساوي اثنين، وإنما لا يراهما إلا كسرًا جبَره كسرٌ؛ فصارا معًا واحدًا صحيحًا، فإن الكمال ليس فيَّ بمفردي مُنعزلًا عنكَ، وليس بكَ مُنفردًا عني، وإنما يكون بنا، أنا وأنتَ معًا، وعرفتُ أيضًا أننا مُنذ رضينا بالحُبِّ معًا، ووقع كُلٌّ مِنا في شِباك الآخر، فكأننا وقَّعنا على أنفُسنا عهدًا مفادُه أنني واحدٌ مقسومٌ على اثنين، نصفه لي ونصفه لكَ، وأنتَ كذلك لم تعد لكَ وحدك، إنما لي بكَ نصيبٌ، عرفتُ أن الحب معادلةٌ مُعقدةٌ جدًا تحاول إثبات أن اثنين في واحدٍ يساوي واحدًا على الاثنين، وكم أكره الرياضيات يا عزيزي، ولكنني مُتيمٌ بكَ، ووددتُ أن تُقسم روحي على اثنين، وأسير بجسدٍ واحدٍ وأحمل معي روحين.

علَّمني أخي ألَّا أحزنَ لفراقِ رجلٍ
علَّمني كيف أنسى
علَّمني كيف أقسَى
وكيف لا ألتفتُ إلى الوراءِ
علَّمني أنَّ الرجالَ لا يستحقون الحبَّ، وأنَّ الرجل إن رحل
لا تنزلُ عليه دمعةٌ واحدة
ولكن ماذا أفعل وأنا الشخصُ الذي يريد أن يكون إنسانًا،
إنسانًا يبكي من كلِّ قلبه على إنسانٍ أحبَّهُ رحل؟
ماذا أفعل بذلك العقلِ المحشوِّ بالذِّكريات؟
ماذا أفعل بيدي وهي لا تكُفُّ عن الكتابةِ عنك؟ تروي عنك
آلافَ القصصِ التي عِشناها والتي تمنَّينا أن نعيشَها، قصصٍ
فوق احتمال البشر، فوق احتمال الخيال
حين أدركتُ أنك اندثرتَ في الذاكرة، ولم يعُد لك وجودٌ الآن
في هذه اللحظة التي أُناجيك فيها، بكيتُ، ولا أعلم لماذا لا
يوجد عقارٌ يُخفف من ألمِ الذاكرة، يُقلل مرارة ذكرياتنا التي
لن تعود
عزيزي أخي، كيف أنساه، وماذا أفعل بالأحلام التي حطَّمها
الخذلان؟
لو قلتَ لي أن أقفز وألمس السماء، سيكون ذلك أكثر سهولةً
من نسيانه.

أظنُّ أنّني لو لم أكن إنسانًا، لَوَدِدتُ أن أكون عِناقًا دافئًا يَغمُرُ هذا الوَجَع، لو لم أكن إنسانًا، لَوَدِدتُ أن أكون مَحَطَّةَ قِطارٍ تَستَقبِلُ القادِمينَ وتُوَدِّعُ الرّاحِلين، لَوَدِدتُ أن أكون دَمعَةً تَنهَمِرُ من عينِ عاشِقٍ،لو لم أكن إنسانًا، لَوَدِدتُ أن أكون يَدًا لا تُفلِتُ أحدًا، ذاكِرَةً تَحضُنُ أيّامَنا مَعًا، لو لم أكن إنسانًا، لَوَدِدتُ أن أكون وَردَةً ذابِلَةً في كِتابِ أحدِ العُشّاق، لو لم أكن إنسانًا، لَوَدِدتُ أن أكون أيَّ شيءٍ عَدَا الحُزنَ القابِعَ في الضّلوع، عَدَا فُرَاقَ الأحِبّةِ، عَدَا رَسائِلَ الوَداعِ الأخيرة، الأحضانِ الأخيرة، نَظَراتِ الوَداعِ الأخيرة، لَوَدِدتُ أن أكون أيَّ شيءٍ عَدَا الحُروبَ، عَدَا الرَّصاصَ، عَدَا السُّجونَ عَزِيزِي، لو لم أكن إنسانًا، لَوَدِدتُ أن أكون دِينًا يَدعو للسّلام، لَوَدِدتُ أن أكون رَكعَةً تَتَّسِعُ للآلامِ، للأحلامِ، وللأحزان، لو لم أكن إنسانًا، لَوَدِدتُ أن أكون شُعورَ الطُّمَأنِينَة.

أنا أخافُ مِن كُلِّ شيءٍ يا عزيزي، أخافُ أن تَعلَمَ أنَّ لِحُبِّكَ أثرَ البَراكينِ في قَلبي، أَخافُ أن أعودَ إلى مَنزِلي بعدَ يَومِ عَمَلٍ مُنهِكٍ فلا أجِدَكَ أنتَ مَن تنتَظِرُني في الدّاخلِ، أخافُ ألّا تُحِبَّني، وأخافُ ألّا تُتاحَ لي الفُرصَةُ الكافيةُ لِأكرَهَكَ، أخافُ أن تَغيبَ فَجأةً عن حَياتي وأَظلَّ أنا مَزروعًا في مَكاني كَنبتةِ شَوكٍ، أخافُ أن تكونَ لي وأنا بِهذا القُبحِ، وأخافُ ألّا تكونَ لي فَيَتمَكَّنَ مِني القُبحُ أكثر

ماذا أقولُ لكَ؟ أخافُ ألّا أطبُخَ لكَ، أخافُ أن أُجهِّزَ مَلابِسَ رَجُلٍ غيرِكَ، لا أعلَمُ ماذا أُخبِرُكَ، ولكن لا يَغُرَّكَ ثَباتي يا عزيزي، مَهما تَمكَّنتُ مِن مُصارَعَةِ الأَشياءِ والتغلُّبِ عليها، فأنا ضَعيفةٌ كُليًّا أمامَكَ، حتى إنَّني سَأبكي إذا رَفَعتُ وَجهي عن هذِهِ الوَرَقةِ الآنَ ولم أجِدكَ جالسًا أمامي تَعبَثُ في كُتُبي وتَنظُرُ إليّ

يا عزيزي، ما رَغِبتُ سِواكَ، حتى إن مَنَحَني القَدَرُ ذلك الحُبَّ الشَّرِه، ذلك الحُبَّ المُصابَ بالأرَقِ، حُبًّا عَدوَ الأَسِرَّةِ، يَجعَلُني طِيلةَ الليلِ أُفَكرُ فيكَ، ويَجعَلُ قَلبي يَصرُخُ بِهَستيريا طَوالَ الوَقتِ؛ بأنَّه لا يَنالُ كِفايَتَهُ منكَ، حُبًّا يَجعَلُ دُموعي تَهرُبُ مِنِّي مِن مُجرَّدِ فِكرةِ اعترافِكَ لي بِحُبِّكَ، حُبًّا كَهذا يَموتُ صاحِبُهُ مِن أثَرِ الرَّكضِ الزّائدِ، ويَموتُ إذا نَفِدَ احتمالُ الطَّرفِ الآخَرِ ومَلَّ

لذلك اعذُرني يا عزيزي إن كُنتُ أمُرُّ مِن جَانبِكَ وتَفوحُ مِني رائِحةُ الخَوفِ، أنا امرأةٌ مُستَوحِشةٌ مِن العَلاقاتِ، وأنتَ رَجُلٌ يَعرِفُ كيفَ يُهدِئُ مِن رَوعي، فَكيفَ لي ألّا أُحِبَّكَ؟

عيناكَ دَربٌ طويلٌ محفوفٌ بالأنهارِ، والأشجارِ، والأخطارِ، عيناكَ بلادٌ أُخرى على الناظرِ أن يُرددَ في قلبهِ دعاءَ السفرِ، في عينيكَ جيوشُ المسلمينَ تُقاتلُ حتى النصرِ، في عينيكَ عادتْ إلينا الأندلسُ، في عينيكَ يا سيدي، قرأتُ روايتي من البدايةِ إلى النهايةِ، ولم يكن البُعدُ مذكورًا، في عينيكَ رأيتُ مولدي ووفاتي، رأيتُني أُولدُ حينَ قُلتَ لي: "أُحبُّكِ" ففضلتُ وقتها أن أستمعَ لكَ؛ لأرى مخزونَ الكلماتِ التي كنتَ تُدخرها؛ كي تخبرني بها في ليلةٍ من ليالي أكتوبر، ونجحتَ في إذابةِ ثلوجِ قلبي ياعزيزي، وأخبرتُكَ: "أُحبُّك" بعذوبتِكَ أُحبُّك، بملوحتِكَ، وطفولتِكَ، وأيضًا برجولتِكَ، بكلِّ أوجاعِ الحياةِ الكامنةِ بداخلكَ أُحبُّكَ، حينَ أقولها تبتسمُ شفتايَ ويضطربُ نبضي، يا قدري، يا منفاي.

إنـي أسألُكَ فهل تُجيبُ سؤالي؟ ماذا جنيتُ كي تملَّ وصالي؟
لو أني أعلمُ أنَّ قلبَكَ سيكونُ لغيري، وسأُطوى في ذكرياتِكَ كورقةٍ قديمةٍ، لكنتُ تجنبتُ التعثُّرَ بكَ، ونجوتُ من جفائِكَ وهجرِكَ، ورغم ذلك لم أمنع نفسي من إرسالِ الكثيرِ من الرسائلِ العتابيةِ، محتواها يغلبُ عليهِ الدمعُ، وخانتَا المرسَلِ إليهِ والعنوانِ فارغتان
لا أعلم أأصبحتَ في علمِ الغيبِ مجهولًا غيرَ معلومٍ متى سيعود؟ من مشفى إلى مشفى، ومن قسمٍ إلى آخر، أجرُّ نفسي كغرضٍ بالٍ وعتيقٍ، أقول لهم: هل رأيتم حبيبي؟ هل مرَّ من هُنا؟ هل رأيتم رجلًا طويلًا يمتلكُ لحيةً خفيفةً وشامةً على وجنتِهِ؟
لم يكن شعرةً وقعتْ من رمشي أو غرضًا صغيرًا كي يختفي من حياتي في غمضةِ عينٍ، هو وقصصُهُ وحكاياتُهُ، كلُّ ما أشعرُ بهِ أنَّ كلَّ الأخضرِ الذي بداخلي قد يَبِسَ من بعدِكَ، وقد علا سورُ اليأسِ وحاوطَ قلبي، ولم أعُد أستطيعُ انتظارَكَ، على الرغم من أنني لم أستطع التوقُّفَ عن ذلك ولكن صِدقًا يا عزيزي، كلُّ شيءٍ بداخلي يُعلنُ ثورتَهُ، وتمرُّدَهُ، وغضبَهُ عليك، كلُّ شيءٍ بداخلي أصابهُ الشكُّ حولَ كلِّ شيءٍ قلتَهُ لي أو فعلتَه، كلُّ شيءٍ يلومني على إعطائِكَ أجزاءً مني بين يديكَ فقط لأنني أحببتُكَ، وقلبي أعمى إن أحبَّ أو عشق، والآن أخبرني، من سيُصلحُ ذلك التلفَ الحادثَ هنا؟

هذا الحُبُّ الغريبُ الذي يأخذني إلى التَّغنِّي بالوفاءِ، يجعلكَ أنتَ فقط الحاضرَ في ذاكرتي، يجعلني أُحبُّكَ رغم ارتدائكَ تلك العباءةَ الشرقيةَ المنسوجةَ بحبالِ الوعيدِ والتهديدِ والغيرةِ المُفرِطةِ، يجعلني أُحبُّ رؤيتكَ تعتنقُ تلك الفلسفةَ الشرقيةَ، أنا التي طالما كرهتُها، ولكنِّي أحببتُها منك يا فيلسوفَ زمانكَ عندما تعتنقُ المنطقَ وتُجادلني بكلِّ ما تملكُ من قوةٍ؛ تُثيرُ غضبي أحيانًا، وأحيانًا أُخرى إعجابي، أنتَ فقط مَن يمتلكُ تلك الصلاحياتِ بي، لم يقدر بنو آدمَ يومًا على العبثِ بي وبأفكاري، وحدَكَ مَن يضطربُ قلبي إثرَ صوتِهِ، وحدَكَ مَن يُؤرجحني بين مئة "متى" و"كيف" وحدَكَ مَن قبلتُ أن أكونَ له حواءَ

لم أعترف لكَ يومًا بوضوحٍ عمّا أنتَ فاعلٌ، ولا بقدرتِكَ الهائلةِ على إذابةِ ثلوجِ قلبي، بل أدُسُّها سرًّا في ورقي وأتركُها لي؛ كي لا تعلمَ مكانتَكَ؛ فتتمردَ على قلبي ولكنَّكَ عندما أصبتني، لم أعُد أستطيعُ إخفاءَ ذلك، أنتَ تظهرُ عليَّ، ورغم محاولاتي لإخفائِكَ تحتَ رداءِ الرتابةِ، واللامبالاةِ، وبعضِ مستحضراتِ التجميلِ إلا أنَّكَ تُشِعُّ من عيني، ويَغلبُ اشتياقي لكَ كبريائي، وأعودُ لأكتبَ لكَ: اشتقتُ لكَ، وأُحبُّكَ فوقَ المحبةِ محبةً، وأريدُكَ فوقَ العمرِ عمرًا، وذلك القلبُ الذي لا يفقهُ معنى حبٍّ لم يُرِد شيئًا غيرَ وجودِكَ.

في البدايةِ كانَ يراني شخصًا لامعًا، تشعُّ عيناهُ إيجابيةً، ولديه قدرةٌ على حلِّ المشاكل، كانَ يراني شخصًا ناضجًا، ولديه من المعلوماتِ ما يكفي كي نخوضَ نقاشًا دسمًا يُغذِّي عَقلَه، ولكن بعدما كُشفَ لهُ قلبي، وبَعضُ تصرفاتهِ الطفولية، أصبحتُ في نظرهِ فتاةً أقلَّ من العادية، سوداويةً أحيانًا، وعاطفيةً في أحيانٍ أُخرى، رُبما أكونُ شخصًا جيدًا للإعجاب، لكن لستُ شخصًا جيدًا للحب

لن أَتظاهرَ بجهلي بهذهِ النقطة، فأنا أخبرتُهُ مرارًا وتكرارًا أنني لا أصلحُ للحب، لم أتعلم كيف أُحبُّ، وكيف أفترق، وكيف أتفق، لم أتعرف على طاقةِ التضحياتِ وحدودِها، لم أتعلمِ القدرةَ على التخلي في الوقتِ المناسب، لم أتعلمِ التجاوزَ والتخطي، لم أتعلم أيَّ شيء، ويَصعُبُ عليَّ أن أحمل معي روحينِ وقلبين

أخشَى أن أُؤذيكَ يا صغيري، ووقتها ستُخبرني: "هُم محقون في كلِّ ما قالوهُ عنكِ" وستُشير إليَّ بأصبعِ الاتهام، وستضعهُ أنتَ بعدما كنتَ تُسقطُه، بعدما كنتَ تُخبرهم: "حوَّاءُ خاصتي بريئةٌ مما نُسبَ إليها إلى قيام الساعة"

أنت لا تعلمُ، يا عزيزي، ماذا يعني أن تُنتقدَ لكونِكَ أنتَ، وكَم مِن محاولاتٍ ليتمَّ تقبُّلُكَ من دون أن يتمَّ انتقادُكَ، تقبُّلُ عصبيتِي الزائدة، حساسيتي المفرطة، أحداثِ طفولتِي الحزينة، أحداثِ مراهقتِي المُتخبطة، طريقتي في التعبيرِ عن

الحب، طريقةِ تفكيري، أفكاري المُتحررة، أفكاري المُتحجرة، إيذائي لنفسي، حبي للسهر، محاولاتي الفاشلة، اختياراتي الخاطئة، كثرةِ تفكيري، وكثرةِ خوفي

أنت لا تعلمُ معنى أن تُخبرَهم: "هل يمكن، بعد إذنك، أن تُحبني؟ ولكن احذر، فأنا كذا وكذا، هل ستظلُّ تُحبني على الرغمِ من كذا وكذا؟" هل ستتقبلُ آثارَ الصفعاتِ على وجهي عندما تظهرُ في صورِنا معًا؟ هل ستتقبلُ خدوشَ روحي عندما أُبعدُك متألمةً عندما تُحاول ملامسةَ روحي؟ هل ستتقبلُ أنني دومًا خائفة، أنني دومًا أحتاجُ إلى عناقٍ كي يُبعدَ أفكاري السوداويةَ التي لا تغتالني إلا في الليلِ عندما ترحلُ وتتركني؟

هل ستتقبل خوفي الزائدَ وأسئلتي الكثيرة؟ حتى في وقتِ كتابةِ هذه الكلماتِ أُصارعُ غيلانَ أفكاري؛ كي لا تنقضَّ عليك، لأني أعلمُ أن هناكَ 80٪ من هذه المشاعرِ قائمةٌ في عقلي فقط، وليس لك دخلٌ بها، ولكن يا عزيزي ألستُ شيئًا يَخُصُّك؟ لماذا لم تُهدئْ ناري قبلَ أن تُحوِّلَ كلَّ شيءٍ بداخلي إلى رماد؟ حديثُكَ، صوتُكَ، بعضُ كلماتِكَ، عناقٌ مع اعتذارٍ منكَ، كانَ سيستطيعُ تهدئةَ ذلكَ الثوران؛ كي لا تُرسَمَ جروحٌ جديدةٌ على يدي وتُوشم باسمكَ

أكانَ صعبًا عليكَ يا عزيزي، تقبُّلي كما أنا؟ بكاملِ حبي، واندفاعي، وترددي؟

عزيزي، أخبرتني أنكَ تُحبُّ عينَيَّ كثيرًا، ولكنكَ لم تُخبرني أنكَ ستتسببُ في هطولِ كلِّ تلكَ الأمطارِ منهما.

إن كان حُبُّنا في عُرفِهِم جريمةً، هَات يديكَ إذًا ودَعنا نرتكب تلك الجريمةَ، دَع الأغبياء يُلاحقونا، لا أهتمُّ، سنكونُ بالحبِّ أسرعَ، سنهربُ منهم بعيدًا، سنهربُ إلى حقولِ القمحِ، وإن سقطنا في أيديهم، لا أهتمُّ، دَعهُم يحبسونا في زنزانةِ القريةِ، ويَحكموا علينا بسجنٍ مؤبَّدٍ إن أرادوا، سنقتسمُ طبشورًا ونرسمُ به على الحائطِ تلك الجزيرةَ التي أردنا زيارتَها، سنرسمُ طفلَنا وهو يقودُ دراجةً ويلعبُ مع أصدقائه، وسترسُمُ لي بعضَ الزهورِ وخاتمًا، وسأتظاهرُ أنه أصبحَ في يدي وأنك خَطبتني للتوِّ، وسنخبرُهم أن زفافَنا سيتمُّ هُنا، ونأخذُ بعضَ المُتَّهَمين بالحبِّ مثلَنا ليكونوا شهودًا، سأرسمُ بدلتَك، رغم أنني أردتُها أن تكونَ سوداءَ كي تُظهرَ جمالَ عينيكَ، ولكنني لم أجِد طبشورًا أسودَ هنا، لا بأسَ بالأبيضِ، يكفي أنَّكَ أنتَ مَن سترتديها، وأعلمُ أنهم ينظرون إلينا من خلفِ تلك الحيطانِ ويضحكون، لن أدَعَهم يحضرون زفافَنا، ولن أرسمَ لهم قطعَ الكيك الشهيَّةِ، دعهم يُحدِّقون بنا كما أرادوا، في قريتي مَن يقومُ بما أراد يُصبح خائنًا للتقاليدِ، وشاذًّا عن العاداتِ، وأنتَ ما أردتُه، لذلكَ هُم يُبغضونني، ولكن يكفي أنكَ تُحبُّني، دعنا نتزوج كي يعمَّ السلامُ، كي يتعهَّدَ الرصاصُ بعدم إراقةِ الدماءِ، كي تنبتَ الأزهارُ على فوهاتِ الأسلحةِ، ولكي يضعَ الجليدُ قُبلة ما قبلَ النومِ على جبينِ النارِ، وككُلِّ تلك التناقُضاتِ يبقى أنا وأنتَ، أن نجتمعَ، رغم أنف قبيلتي، ومدينتي، وسلاسلِ العاداتِ.

في آخرِ ليلةٍ من نوفمبر، أنا أُحِبُّكَ، لا أعلمُ لماذا بالتحديد، ولكننا عندما ننغمسُ في الحديثِ معًا، أستطيعُ أن أصفَ قلبي بشكلٍ دقيقٍ إنه يُضيء، ليس قلبي فقط، بل أنتَ تشُعُّ من عينيَّ، لا أستطيعُ إخفاءَكَ أكثرَ من ذلك، أنتَ كالعقاقيرِ الشافية، إذا نظرتَ إلى وجهِها، فكأنَّ آياتِ الرحمةِ تُتلى على قلبِكَ واحدةً تلوَ الأخرى، أشباهُكَ التسعةُ والتسعون اجتمعوا فيكَ، فلم أجد مثلكَ مهما طُفتُ بِقاعَ الأرضِ، بريءٌ جدًّا، لا ينتمي إلى لؤم العالمِ البتة، طفلٌ عاقلٌ يُربكُ مشاعري، ويَضطربُ قلبي إثرَ حديثِه، حاشا لهذا الجمالِ أن يكونَ بشرًا مثلنا

عزيزي يا صاحب حرفِ الميم، الحياةُ من دونِكَ رماديةٌ، لا تستحقُّ أن تُعاش، مُنذ بزوغِ الفجرِ إلى وداعِ الشمسِ أطلبُكَ في سجودي، وأطلبُ أن تبقى قُربي، وأعدُكَ أن أُخلِصَ لكَ في النيةِ وفي الفعلِ، أعدُكَ أن أَمحُوَ أيَّ آثارٍ كانت قبلكَ فيَّ، ما شكوتُ أمرًا قطُّ إلا غيابَكَ، وما اشتهيتُ إلا راحتَكَ، وما تمنيتُ إلا قُربَكَ، ففي آخرِ ليلةٍ من نوفمبر، أتمنى أن تصدُقَ الأسطورةُ مقولتَها، وتعودَ إليَّ في ليلةٍ من ليالي ديسمبر.

لا يستطيعُ تهدئةَ تلك المشاعرِ التي تجتاحهُ رُغمًا عنهُ، ينتظرها على جمرٍ ساخن، يعلمُ أنه لا يستطيعُ أن يضبُطَ نفسه أمامها، إنها تتسللُ على أطرافِ أصابعها بخفّةٍ نحو قلبهِ دون أن ينتبه، هذه المرأةُ لا تُشبهُ أيَّ امرأةٍ قابلها في حياته، تُوشك أن تدفعهُ إلى أن يعترفَ لها بحُبِّه، مثلَ طفلٍ صغيرٍ خائفٍ ارتكبَ غلطةً وعليه أن يعترفَ بها ويطلبَ حُضنًا كبيرًا وربتةً على الظهر، وكأنَّ حُبَّهُ لها جرمٌ عظيمٌ بحقِّ نفسهِ وبحقِّها، هو لا يعلمُ متى انزلقتْ قدمُهُ في هذا الجنون، وما الذي أعجبهُ بها، هو فقط تعثَّرَ بها على حينِ غفلةٍ، شعرَ بتوغُّلها داخله، ويرغبُ أن يرتويَ منها أكثرَ وألّا تبتعد.

في الخامس من ديسمبر، أَعترفُ أمامَ نفسي أنَّ قلبكِ شيءٌ كثيرٌ عليَّ، وإنني أخطأتُ كثيرًا في حقكِ يا عزيزتي، أطلالٌ من الأعذارِ اسكُبُها تحتَ قدميكِ، أنا الذي لم تستطع أُنثى قَطُّ أن تُضعفني، ولكنكِ تُصبِّينني بجمرٍ على شغافِ قلبي، أقاومُ وأقاومُ ولكني أنهارُ ويأكلني الفكرُ في كلِّ ليلةٍ، تعلمين؟ عندما شعرتُ أنني سأفقدُكِ، وستنزعين روحكِ من روحي وستغادرين، أمطرَ عليَّ الليلُ الأسئلةَ، واستيقظتُ من غفلتي مُرتعدًا خائفًا مِن فُقدانكِ، أعلمُ أنكِ كثيرةٌ عليَّ، ولكنَّ أنانِيتي لا تسمحُ لي أن أراكِ مع غيري، أنا أحتضرُ أمام هذا الحبِّ المُزمن، وينتهكني الندمُ كورمٍ خبيث، أنا بحاجةٍ إلى قُربكِ، لا أريدُ أن نفترقَ مرةً أخرى، لا أدري ماذا فعلتِ بي، أنا أحبُّكِ أكثرَ من أيِّ شيءٍ، أحبُّكِ بقدرِ هذا الحظِّ العاثر، أكثرَ من كلِّ آلامِ فلسطين، وأكثرَ من كلِّ سكنةِ خوفٍ انتابتها، أكثرَ من أيِّ شيءٍ يا عزيزتي، أكثرَ من حرقتي وأنا أكتبُ لكِ الآن، أريدُ أن أبكي وتُعانقيني، أشعرُ أنني خذلتكِ من جديد، أنا لا أصلحُ للحياةِ يا عزيزتي، أنا صحراءُ جرداءُ تلفظُ حتى الماء، وأنتِ أغدَقتِ عليَّ بالماء؛ كي أعودُ للحياةِ ولكني تجاهلتُ ذلك، ولكن أقسمُ لكِ أنها ليست غايتي، يا عزيزتي، أعتذرُ منكِ، من عينيكِ الباكيةِ بسببي، من قلبكِ الخائفِ مني، من عقلكِ المُترددِ في أمري، من كلِّ الأسئلةِ التي كنتِ بحاجةٍ لإجابتها ولم أُجيبكِ.

في الثامن من ديسمبر أكتبُ لكَ خطابًا، أعلمُ أنه سيصلكَ هذه المرة، وستقرأُ اسمكَ مُخبأً خلف حُروفي، وحدكَ من سيفهم مَقصدي، وستعلمُ أنني أقصدكَ، لا أُخفيكَ سرًا، أنا أخجلُ من معرفتكَ تلك، ولكني لم أعتَد أن يَمُرَّ الثامن من ديسمبر دون أن أُحدثكَ، فاستمع لي يا عزيزي، وأتمنى ألا أفقدَ بلاغتي ومهاراتي الكتابية في حضرتكَ، وإن رأيتني بين السطور أُحدِّقُ في عينيكَ، فرجاءً تجاهلني

عزيزي، أراكَ من مكاني هذا، تفصلنا بعضُ الأميال وبعضُ المُدن، ولكني أحاولُ أن أُقلصَ المسافةَ التي بيننا وألمسَكَ في دُعائي، أدعو الله أن يحفظَ روحكَ البريئةَ ولا يمسَّها سوء يا بضعة مني، إنني كلما هربتُ منك، وجدتني ببابِكَ، وكلما ابتعدتُ عنكَ، صِرتُ منك أقرب، وكلما حاولتُ التعقُلَ، جُننتُ؛ فعدتُ أُحبُّكَ، وأكتبُ لكَ في الخفاء، وأهمسُ بأبياتي بصوتٍ خافتٍ لا تسمعُهُ تلك الآذان، بل ستسمعُه أُذنكَ فقط، عُدتُ أكتبُ لكَ بلسانٍ ينطقُ باسمكَ حرفًا حرفًا، وبقلبٍ مِلكًا لكَ، بكسر الميم، أو بفتح الميم، أو بضمِّها، أقصد الميم، أو أنت

عزيزي، أنا أُحبُّكَ، بكل تفاصيلكَ التي لا تلتفتُ لها، أُحبُّكَ بكل مشاعركَ المختلفة، بذوقكَ الغريب، وبتفاصيلكَ التي تُدهشني وتُثيرُ إعجابي، تلك كلماتٌ تمنيتُ أن تُكتبَ لكَ وحدكَ، ويَنفذ الحِبرُ من أجلِكَ وحدكَ، شعرتُ أنها على

مقاسِكَ وسِعتِكَ، ها أنتَ تقرأُ، وما خطَّتْ يدي تلك الكلمات إلا من أجلِكَ وحدكَ.

كانَ يَتَملكُني الخوفُ كُلَّما تَحَدَّثتُ معهُ، كُنتُ أشعُرُ بِما لا أُريدُ أن أشعُرَ بهِ، سُرعةُ دقّاتِ القلبِ، السعادةُ المُفرطةُ غيرُ المُبَرَّرةِ، كُنتُ مُستمتِعةً بكلِّ دقيقةٍ أقضيها معهُ، لا يَنتهي الحديثُ بيننا أبدًا، كان لدينا دومًا ما نَتحدَّثُ عنهُ، أحلامُنا الضائعةُ، أَسماءُ كلابِنا، كُنّا نَتَبادَلُ الأفكارَ والطُّموحاتِ نفسها، بل ونتبادلُ الآراءَ المختلفةَ أيضًا، نَتبادلُ ما نُفضِّلُ من موسيقى، نختلفُ أحيانًا ونتفقُ أحيانًا
كلُّ ما أَشعُرُ بهِ تجاهَهُ مُبهَمٌ، أُخفِيهِ في رُكنٍ ما في قلبي، خِفتُ أن أغرَقَ فيهِ حُبًّا وأخسرَ صديقي، كانَ لديَّ رغبةٌ عارمةٌ في التحدُّثِ مع غيرهِ لأُثبِتَ لنفسي أنَّهُ ليسَ مميزًا على الإطلاقِ، وأنَّني أُحبُّهُ كأيِّ شخصٍ في حياتي، ولستُ أُفكِّرُ فيهِ، ولا تَلمعُ عَيناي عند رُؤيتهِ، ولا يهدأ ثوران عقلي عندما أُحدثه، ولا أكتُبُ عنهُ الآنَ أيضًا، أنا أفعَلُ كُلَّ شيءٍ لأجلي، وهذهِ مشاعِرُ وستَختفي مع الوقتِ، ولكنِّي رُبَّما كاذبةٌ، لم يمتلك أحدٌ القدرةَ أن يَدُبَّ الحياةَ في أوصالي هكذا، ولم يُرغمني أحدٌ على حُبِّه كما يَفعَلُ هو، هو مَن يَجعلُني أُريدُ أن أعيشَ يومًا إضافيًّا فقط لأجلِ أن أتواجدَ معه، وَلكنَّني كُلَّما مشيتُ لهُ خُطوةً يُرجعني الخوفُ مئاتِ الخُطواتِ، كيفَ يُمكنُ أن أُحبهُ من دونِ خوفٍ؟ كيفَ يُمكنني أن أندفعَ نحوهُ من دونِ أن يَتحدَّثَ إليَّ ذلكَ الصوتُ اللعينُ أنَّني أُخطِئُ، وأنَّني إن اندفعتُ مُجددًا تِلكَ الطُّرُقاتُ التي كُنا

نَلتقي بها لن أستطيع لَملَمةَ شَتاتِ قَلبي منها، ليتني تَعَثَّرتُ بهِ قبلَ أن يُقيمَ قلبي ثورتَهُ على الحُبِّ وعلى العُشَّاقِ، ليتَ قلبي لم يُخدَش؛ كُنتُ سأفتَحُهُ على مِصراعيهِ لكَ، كُنتُ سأُحبُّكَ كما أنا، دونَ أن أسمَعَ نصائحَ أصدقائي وأقاربي عَمَّا يجبُ أن أفعَلَهُ وعَمَّا لا يجبُ، لو لم أتعثَّر بغيركَ كُنتُ سأُخبِرُكَ: "أنا أيضًا أُحبُّكَ" من دونِ أن يَرتجِفَ قلبي وتُعادَ إليَّ جميعُ ذِكرياتي السيِّئةِ ومخاوفي

عزيزي، للمرةِ الرابعةِ على التوالي، أُخبِرُكَ آسفةٌ لأنَّكَ تَعَثَّرتَ بي أنا.

عاهدتُ نفسي أن أُحاول معه؛ لأنه يستحق
عاهدتُ نفسي أن أُصدِّق إحساسه ونواياه
عاهدتُ نفسي أن أُصدِّق كلماته، وأُصدِّق مشاعري تجاهه
حتى لو قادتني إلى طُرُقٍ حزينة، وأن أُصدِّق أن أحضانه
نابعة من حُبِّه وليست شفقةً مُستترة
عاهدتُ نفسي أن أسقي فروع قلبي الذابلة دون كللٍ أو مللٍ،
رغم يأس الجميع من حالتي، ولكنه يستحق أن يسكن في قلبٍ
مُزهر
عاهدتُ نفسي أن أُصدِّق ابتسامتي إثرَ كلماته المُعسولة، وأن
أُصدِّق الأمان الذي أشعر به معه، رغم وحشة ما مرَّ
وصعوبة ما مضى
عاهدتُ نفسي أن أشعر بالأمل رغم الكثير من الإحباطاتِ
المُتكررة، ولكنهُ يستحق
يستحق الأفضل، يستحق أن تُعطى له جميع المشاعر
المُكدَّسة، دون أن يتواجد فوقها أتربة
يستحق أن يُحب، يستحق أن يُدعى له في السيدة نفيسة، وكل
منازل الأولياء
يستحق أن أتحرر من الاحتمالات؛ لأن الاحتمالات حلقةٌ
مُفرغةٌ لا نهاية لها
يستحق أن تُحكى له القصصُ والحكاياتِ، وأن أكتب له بكل
اللغاتِ
يستحق أن تُهدى له الزهور، والكُتب، وكل جميلٍ

آهٍ يا سيدي، فقط لو تعلم

"لا أُحِبُّ "أُحِبُّكِ"

التي تأتي في الأعياد، إنما أُحِبُّ "أُحِبُّكِ" التي تأتي عندما يكفُّ الجميع عن الحبِّ،" أُحِبُّكِ" حين يزهد المُحِبُّون في التعبير عنه، "أُحِبُّك" التي تأتي وأنا مُنهَزِمٌ ووجهي شاحبٌ، ليست تلك التي تأتي وعيناي تلمع وتضخُّ الحبَّ، لا يستهويني الحبُّ المُعلَّب، والشوق المُقنَّن في إطارٍ واحدٍ، مصنوع منه مليون نسخةٍ تُوزَّع في الأيام التي يقول فيها الجميع للجميع إنَّه يُحِبُّه، ذلك الحبُّ المُلقى في مداخل البنايات، والمتوافر دائمًا أمام نظرهم، لا تستهويني المشاعر المُتبقية، أُحِبُّ "أُحِبُّكِ" التي تأتي حين غفلةٍ، تُبعد عني رتابةَ الأيام وتُشعرني بما يُسمى "بجنون الحب"

في الحقيقة، يستهويني من الحبِّ نوعٌ آخر، ويأسرني بتفاصيله البعيدة كلُّ ما هو غير مرئي، أُراقبُه في العيون التي لا تستطيع أن تُعانق بعضها، وأتعجَّب كيف لها أن تنتظر شهرًا، أو عامًا، أو خمسة، كيف يقبضون على جمر الحبِّ من دون أن يحرقهم الانتظار؟

يستهويني "حبُّ زمان" الذي أبحث عنه منذ أن كنتُ طفلة، أبحث عنه بين الأوراق، والجوابات، والأفلام، ولم أجده بعد، رُبَّما بحثتُ عنه في أحلامي أيضًا، أتخفَّى في غطاء الليل وأنا أُمسك يديك، أشتاق بلا مُحاكمة، أُخبرك "أُحِبُّكَ" بلا

ذنبٍ، أبوح دون أن أكتم، أضعف كما أشاء أمام عينيكِ من دون أن أُجبر على التظاهر بالقوة

رُبَّما أنا "أهل الحبِّ المساكين" الذين ذكرتهم أمُّ كلثوم، أنا المُعاقَب بالبُعدِ، المُبتلى بالهجرِ، المُقيَّدُ بما ليس لهُ، أنا من كُتِبَ عليه أن يأخذ بواقي الحبِّ، بواقي القصص، بواقي المشاعر، بواقي الخطوات، أنا من سمع عن الحبِّ ولكنه عاجزٌ أن يصنع قصته الخاصة، أنا الفجوة بين العصور، أنا الصفحة المقطوعة من كتاب تاريخ، أنا اللون الرمادي، أنا دومًا في المنتصف، أنا طفلٌ وُلِدَ عنوةً رغم تعاطي أُمِّه حبوب منع الحمل، أنا القدر غير المُتوقَّع، الذي كُتِبَ عليه أن يُخذَل ألف مرة باسم الحبِّ، أنا من يبحث عن النصر وسط العديد من الانكساراتِ، أنا من يبحث عن نفسه وسط الصُفح.

مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ آخرَ مرةٍ التقينا فيها على ناصيةِ الحُلمِ، رأيتُكِ الليلةَ، كنتَ واضحًا جدًا، ضاحكًا، وفي أُذنيَّ صوتُكَ الذي لم ينقطع، مُمسِكًا بيدي، لم تلتفتْ حولَك؛ واثقًا أنني ملكك

مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ أن بدوتَ لي في صورتِكِ التي أحببتُها من المرةِ الأولى، ملامحكَ الهادئة، لحيتُكَ الخفيفة، عيناكَ البُنيتانِ، التي تجعلُ الحنينَ يفتكُ بي

لو كنتُ أعلمُ أنَّ الحلمَ يجمعُنا؛ لأغمضتُ عيني طولَ الدهرِ؛ لأحفظَ وجهَكَ ذخيرةً لتلك الأيامِ التي تخلو منكَ

عزيزي، حُلمي يُقربني منكَ، أهرولُ لأرتمي بكَ، قبل أن أسمعَ ذلك الصوتِ المُزعجِ الذي يَحُثُّني على الاستيقاظِ، فاستيقظُ لأجدَ غصَّةً في حلقي، وأجدَ طيفَكِ يهربُ ملوحًا لي، أبتسمُ له وأنهضُ لأحسبَ ساعاتِ اليومِ وهي تمرُّ من دونِكَ.

أُريدُ لِمَن أُحبُّ أن يكونَ حُرًا، حتى مِني، يُحلِّقُ كما يشاءُ ويعودُ إليَّ، يُحدِّثُ الأوطانَ والأشجارَ عنِّي، يُخبرُهُم أن وطَنَهُ لم يُفرِّط فيه، إنما يُريدُ التيقُّنَ أنَّهُ يُحبُّهُ من كلِّ قلبِهِ، يُدافعُ عنهُ مهما زادَ عددُ الثُّوَّارِ عليهِ، مهما ساءت أحوالُهُ الاقتصاديةُ، واندَلَعتِ الثوراتُ، لن يُحبَسَ في قفصٍ ولن تُكسَرَ أجنحتُهُ، أُريدهُ حرًا، حالِمًا، يَستنشقُ الأزهارَ، ويَقطفُ بعضَها ويَجلِبُها لي، يُحلِّقُ ويُخبرني أنَّ عينَيَّ أجملُ ما رأى، أجملُ من برجِ إيفل، وأجملُ من الأهراماتِ، وأجملُ من حواري اليابان، وأجملُ من حباتِ المطرِ على زجاجِ السياراتِ، يُحلِّقُ ويأتي إليَّ ويُخبرني أنهُ مِلكي أنا، ولم تَستطع أيدٍ أن تَمَسَّهُ قَطّ، يُخبرني أنهُ اختارني بإرادتِهِ البحتة، ويُحبُّني بكاملِ مشاعِرِهِ القلبيةِ، وقواهُ العقليةِ، يُحبُّني في كمالي وانهزامي.

إنها إحدى المراتِ القليلةِ التي تمنى فيها لو استطاع البكاء،
لكنَّ رجلًا مثلَهُ لا يبكي؛ لفرطِ غيرتهِ على دموعهِ، مهما
فتكت به الآلامُ والأيامُ؛ لن يبكي أمامها
قالت له: لا أثقُ برجلٍ لا يبكي
اكتفى بابتسامةٍ، ولم يُبح لها أنه لا يثقُ بأحد، ولكنه يخشى أن
يبكي أمامها، امرأةٌ مثلها تضعُكَ بين خيارين، أن تكونَ
بستانيًا، أو سارقَ ورودٍ
لا تدري: أترعاها كنبتةٍ نادرةٍ، أم تسطو على جمالِها قبل أن
يسبقكَ أحدٌ ويأخذَها
امرأةٌ لا تهابُ الموت، لكنها تخشى أن تعيشَ شبهَ ميتةٍ،
فكيف لي أن أتعرى أمامَها؟
وردةٌ مثلها إن كشفتُ ضعفي لها ستذبل، لكنها تُهديني ما
ينقصني لأحيا، تُهديني الرغبةَ كي يشرقَ عليَّ صبحٌ آخرُ
وأراها، تجعلني أريدُ المثابرةَ كي أحصلَ عليها

عزيزي فلان، كيف الحال؟

أتذكر أول مرةٍ أرسلتُ لكَ رسالةً بخطِّ اليدِ، شعرتُ أنني أتركُ لكَ شيئًا من روحي، إنْ رحلتُ عنكَ؛ تنظرُ له وتراني به، تمنيتُ أن يُغطي سوءُ خطي على ما كتبته من كلماتٍ؛ فتتعثرَ في فهمها وتُوفرَ عليَّ إحراجًا وارتباكًا سأُعانيه

عزيزي فلان، هل تتذكرُ ابتسامتي البلهاءَ عندما رأيتُكَ؟ كُنتُ أسرقُ من ملامحكَ بعضًا؛ كي تبقى معي حين ترحلُ أنتَ، لم أُدرك ماذا يعني أن تغوصَ في شخصٍ ما إلا حينما رأيتُكَ، أدركتُ أنني امتلكتُ حصيلةً لغويةً وبلاغةً قويةً؛ لأكتبَ وأكتبَ، لن أكبح حروفي عنكَ بعد الآن، ولن أخشى القولَ إنني أحببتُكَ، رُغمًا عن الذين قالوا إنكَ لا تصلح، وعِندًا في الذين قالوا إننا نُفسِدُ قدسيةَ الحُبِّ، سأهمُّ باختراعِ لغةٍ تخصكَ وحدكَ، لغةٍ سريةٍ أُسمّيكَ فيها رفيقي، وحبيبي، ومأواي، وأميري، لُغةٍ يُطمسُ بها اسمكَ، ولكنكَ سترى روحكَ في نصوصي، سترى ذلك الأثرَ الذي تُحدثه كُلما مررتَ بخاطري، لا تمرُّ مرورَ العابرين، بل تُحدثُ ضجةً تجعل كُلَّ الحاضرين يرونكَ في حروفي، في صوتي، وفي عينيَّ

عزيزي فلان، وقتها لم أستطع البوح لكَ عمّا بداخلي، خوفًا من عواقبِ ذلك، كان الحُبُّ يتراكمُ بداخلي حتى نَفِدَ صبري، وقررتُ مُصارحتكَ، وأن أُرسلَ لكَ ما كتبتُ وعاهدتُ نفسي

ألا يراهم غيري، ولكن فليكن ما يكن، حتى لو الدنيا قامت وما قعدت، دعني أُخبركَ بما أشعر، وإنني يا عزيزي، أُحبكَ جدًا، وحُبكَ يجعلني على غيرِ طبيعتي، يجعلني مُنيرةً دومًا، ويُحولُ الصحاري بداخلي إلى حدائقَ ياسمين، أنتَ وحدكَ من سمحتُ له أن يهدمَ أسواري ويقتربَ، وحدكَ من تركَ بي أثرًا من الوهلةِ الأولى

عزيزي فلان، وحبيبي السري، إليكَ ما كتبتُه لكَ، أعتقد أنه يحقُّ لكَ أن تعلمَ كم أُحبكَ

دار ياقوت فاطمة
للنشر والتوزيع
01555191983

دار ياقوت للنشر والتوزيع

يأكلني الفكرُ في كُلِّ ليلةٍ، يَصُبُّ
الحنينُ جمرَهُ على شَغافِ قلبي، تغتالني
الأفكارُ دَفعةً واحدةً، ويَسألني قلبي:
"كيف تكونُ الحياةُ من بعدِهِ؟"

بينَ ثنايا الحُلمِ تتأرجحُ الأحلامُ، ما بينَ
مُمكنٍ ومُستحيلٍ

دار ياقوت للنشر والتوزيع
01555191983